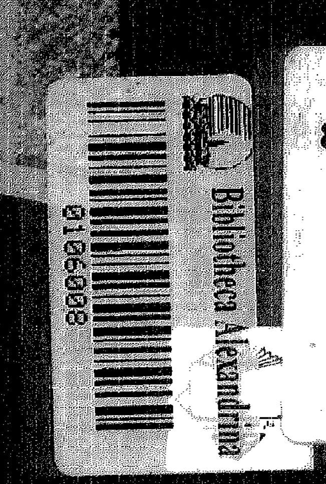
عبد الوهاب البياتي

مختارات



اختارها وقدم لها

محمد مظلوم


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عبد الوهاب البياتي

اختارها وقدم لها

محمد مظلوم



كتاب المختارات



عبدالوهاب البياتي

كتاب المختارات

اختارها وقدم لها: محمد مظلوم



كتاب المختارات
عبدالوهاب البياتي
اختارها وقدم لها: محمد مظلوم
الطبعة الاولى ١٩٩٨

دار الكنوز الادبية
ص. ب. /٧٢٢٦ - ١١ - بيروت / لبنان
هاتف / فاكس ٧٣٩٦٩٦

تقديم

بدأت قراءتي لشعر البياتي، مع بداية التكوين الأول لقراءاتي الشعرية، وبما أن هذه القراءات كانت مستغرقة في دواوين الشعراء الكبار كالمتنبي وطرفة والشريف الرضي وأبي نواس والجواهري وسواهم من المحطات الكبرى في الشعر العربي، ولما مثله شعر البياتي من تواصل وتقاطع في الآن نفسه مع هذه المحطات، فقد شكلت أشعاره تحولا في طبيعة الذائقة الشعرية الأولى بالنسبة لي، ظل شعر البياتي يحمل، طيلة قراءاتي اللاحقة للشعر الحديث، نكهة أخرى، وسرا روحيا، يجمع بين الألفة والغرابة، سرا قريبا منك لدرجة إنك تكاد تتعرف عليه، وحالما أوشكت على الفراغ منه، اقترب منك مجددا بسرية جديدة، وأعترف إن هذا السر في أشعار البياتي، يتجدد في كل قراءة لاحقة لقصائده، ورغم أن السلالات الشعرية تقوم على توارث هذه السرية، ونقلها عبر الأجيال برسائل خفية، فإن قصائد البياتي تتميز باكتمال دائرة أسرارها وتموضعها في مكان خاص في الشعرية العربية.

هذه "المختارات" التي تمثل قراءتي الخاصة لشعر البياتي، لا تكاد تنقطع عن تعقب مجرى السرية التي دهمتني تجلياتها منذ أولى القراءات. إنها التركيب البسيط والمتاح في سياق ممتنع ينطوي على أعماق روحية، بتجربة حياتية استثنائية، وبصيرة تجمع بين "الدين" و "السحر" و"البهللة" بحسب مفهوم ابن عربي للبهللة واستحصالها وحكمتها.

السؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن حول هذه "المختارات" يتعلق بأكثر من جانب، قد يبدأ بمغزاها ولا ينتهي بتوقيتها أو افتراقها عما سواها من مختارات. فكتب "المختارات" من أشعار البياتي عدة، ومن قاموا باختيارها، يمثلون شتى الاتجاهات والأجيال، غير أن الطبيعة المشتركة التي جمعتها، هي التوجه إلى تظهير موضوعات معينة في شعر البياتي، ولا أريد هنا أن أقلل من أهمية تلك المختارات لكنني أعتقد أنها بقيت محكومة بموضوعاتها لا بموضوعيتها، بسبب من استجابتها لمنهج "الموضوع" إن صح التعبير، وتحددها بطبيعة الموضوعات التي اختارتها. هذه المختارات، تمثل لي، إذن، قراءة "بريئة" ومتحررة من وطأة الموضوع المحدد، لتدخل في محاولة استقصاء المشروع الشعري العام للبياتي، ترصد تحولاته، واقتراحاته، وأثره في المتن الشعري العربي الذي يمثل البياتي فيه، برأيي، التحول المتوازن والطبيعي في حركة الحداثة الشعرية العربية. وعلى المستوى الشخصي، تمثل لي هذه المختارات من أشعار البياتي، إعادة مراجعة لمشروع الريادة، ومفهوم الحداثة في الشعر العربي. فأشعار البياتي المتجذرة في ترابية الحياة العربية والشرقية عموما، بأساطيرها ورموزها، بحروبها، ومآسيها، بمنافيها، وطوفاناتها، بطغاتها وفقرائها، استطاعت أن تحقق في الوقت نفسه ميتافيزيقيا عالية، وذلك في

عمق ارتباطها باللحظة وكأنها "الأبد" كما تمثل هذه المختارات، على المستوى الشخصي وما تقترحه من ممكنات، إعادة اكتشاف لتجربة السلالة الشعرية التي أغنت نهر الشعر العربي وعمقت مجراه في الحياة العربية. ومحاولة للخروج من دائرة الفهم المدرسي للريادة، ومن الرؤية الكتلوية لمشروع الحداثة، إلى التجرؤ على فك الارتباط الكتلوي وفحص طبيعة ومستوى كل تجربة لإعادة اختبار ما نعتقده ثوابت في دراسة مشروع الريادة.

* * *

في هذه "المختارات" يبرز غنى موضوعات البياتي، وعندما أقول غنى، فإنني أقصد مستوى ريادتها، فثمة قصائد تعد رائدة فعلا في الشعر العربي الحديث، كما في قصيدة "مسافر بلا حقائب" التي تمثل وعيا متقدما ومبكرا، بارتباط المنفى بالمعنى الوجود، بالمنفى الميتافيزيقي، حيث إحساس غير يقيني بوجود الفرد منفيا إلى الحياة، مطرودا من الجنة أو من الرحم، أو من ((اللامكان)) كما يقول البياتي في مستهل القصيدة، أما قصيدة ((المخبر)) فهي الأنموذج الأول في القصيدة العربية، التي تسعى إلى مقاربة صورة هذا الشخص الذي صار جزءا من موضوعاتها الأساسية، وأعتقد أن للبياتي في هذه القصيدة السبق في تشكيل الخطوط الأولى للرسم التقريبي "للمخبر"، الكلام نفسه يمكن أن ينطبق على الهجاء السياسي الذي برع فيه البياتي بشكل كبير حتى كانت قصيدته ((بكائية لشمس حزيران)) أنموذجا واضحا آخر، امتد بتأثيره إلى شعر مرحلة ما بعد هزيمة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧.

تبدأ هذه "المختارات" بقصيدة "مسافر بلا حقائب" من ديوان "أباريق مهشمة" الصادر بطبعته الأولى في بغداد عام ١٩٥٤،

وهذه البداية مقصودة تماما في ما يخص القصيدة، وفي ما يتعلق بالديوان عموما. تبدأ قصيدة "مسافر بلا حقائب" هكذا:

"من لا مكان

لا وجه لا تاريخ لي

من لا مكان"

فالنفي هنا مركب: لغوي، وجودي، إذ تبدأ القصيدة وتنتهي بالجملة ذاتها: من لا مكان، وخلالها تدور القصيدة على نفسها لتصل إلى مآلها الذي هو استهلالها، وتشكل ـ دلالياً ـ عمق المعنى المتصل بمبناه، فالنفي اللغوي هنا يحرك في أعماقه مفهوما وجوديا للمنفى، حيث العلاقة بين الإنسان والمكان مشبوهة من أولى اللحظات، أعتقد أن وعي المنفى في الشعر العربي قد تأسس في قصيدة البياتي ليصبح عنوان مرحلة ما زالت تحكم إحساس المثقف العربي في الراهن الإبداعي والحياتي، أما في ما يتعلق بديوان "أباريق مهشمة" فهو فاصلة نوعية حقيقية، بين الشعر العربي في مرحلة، ومرحلة تالية. شعر البياتي بهذا المعنى، إضافة لما حققه من إنجاز في المتن الشعري العربي العام، قدم تحريضا قويا لتجارب لاحقة، قادت المغامرة إلى تخوم أخرى في الهامش الذي يتأسس مجاورا لهذا المتن العريض. وما يمكن أن نسميه الشعر الذي يعيد اكتشاف الحياة والأشياء وبلاغتهما، وردته خيول البياتي مبكرا لتواصل "سباق المسافات الطويلة" نحو الخلود.

تمثل قصيدة "سوق القرية " المنشورة في ديوان "أباريق مهشمة" أيضا، أنموذجا آخر في "الطبيعة" الحداثية لشعر البياتي، أنموذجا لعنصر أساسي في هذه "الطبيعة" وهو العنصر الذي يشكل جوهر تجربة البياتي، وأعني بذلك مستوى إطلالته على الحياة.

أعتقد أن شرفة البياتي تطل على الحياة لا من جهة واحدة أو وحيدة ، بل إنها أشبه بمدار لا مركزي يتداول الحياة من شتى تفصيلاتها، وبمختلف مستوياتها، ففي قصائده ثمة تجوهر فريد للأشياء، يشكل مادة أولى لتشييد القصيدة، بطقسها و ترابها وأشخاصها وأفكارها، وعندما أقول تجوهر فريد للأشياء فلا أعني هنا القصيدة الشيئية المحضة، وفي الوقت نفسه لا أعني نقيضها: أي تجريد الأشياء من شيئيتها نهائيا، وزجها في أتون الاستعارات، إنها تلك الموازنة بين هذه وتلك، فقصيدته لا تلهث لتحصيل مفرداتها، ولا تتلكأ في الكشف عن كينونة الشيء، أنها تتخلق بين الأشياء واللغة، وتتخلق بينهما، كذلك، حياةً مكثفة، بسيطة وعميقة في الآن نفسه، لهذا ينبغي النظر إلى مفردة البياتي من هذه الزاوية، أعني ابتعادها عن الاعتباطية والتعسف في استثمار الدلالات، وكذلك خروجها من الدلالة المباشرة، إلى الاحتمال المحايث لهذا اللمعان الذي اكتسبته المفردة في رحلتها من المناجم وظهورها تحت شمس الحياة.

إذن بدأت حداثة قصيدة البياتي من اكتشاف الحبل السري الخفي للحياة وحافظت عليه طيلة نصف القرن الماضي ومازالت، حيث قدمت بذلك أنموذجا خالدا خلود الحياة متغذيا منها، ومقدما لها جرعات إضافية من السحر والخرافة والحكمة في آن معا.

لا يكتب البياتي لغته بالمجاز العشوائي، بل يكتبها مشحونة بمزاج إنساني، ميتافيزيقي مركب، يخلق نموذجه البدئي من مسافة الممكن بين الشيء والكلمة، بموازنة تدخله في حيز الصنعة العالية والدقيقة. مفردته ليست حقلا دلاليا بريا، لكنها بستان يتصل بالحياة اليومية، وبذلك تخلق عالما ممتنعا، وممتعا أيضا، في واقع ممنوع.

((المفردة)) و((الجملة)) كلاهما يدخل في تركيب قصيدة البياتي، وإذا ما كان البياتي يلتقط مفرداته من جذرها الحياتي ويزرعها في تراب قصيدته الخاص، فإن جملته تتميز هي الأخرى بكونها مبنية بعناية صانع حاذق، حتى أصبحت الجملة القصيرة، البسيطة، المتماسكة، جملة (بياتية) تتصف بأسلوبية نادرة من حيث قدرتها على إيجاد خصوصيتها مع كل ما قد توحي به من سهولة، جملة البياتي إضافة إلى كونها عضوية في القصيدة، بمعنى أن المفردة، تليها الجملة وتجمعهما القصيدة، هي بناء متكامل، فإنها ـ الجملة ـ تختص لديه بشغل واضح، شغل يقرّبها، إلى حد كبير، من حلة الغناء التي تقربها من الرومانسية، ليجعلها جملة مسترخية تحمل بعدا تأمليا يزجها تماما في تأسيس مبنى حديث قادر على استبصار العالم والأشياء والأمكنة، لا بما يقدمه البناء الرومانسي للجملة من بعد ((توسلي)) بل بما يستحصله بناؤها من تفصيلات وبما يفتحه من نوافذ على علاقات مرئية في حياة متداخلة.

وبهذا المعنى أرى أن البياتي هو الشاعر الوحيد بين جيل الرواد الذي أنقذ تجربته من الاندراج في الرومانسية التي كانت تلوح بشكل ما في ديوانه الأول "ملائكة وشياطين" الصادر عام ١٩٥٠

وفي رصد للتحول الأسلوبي في بناء الجملة لدى البياتي نجد مستويين في بناء الجملة، تتمركز حولهما تجربة البياتي الأسلوبية، الأولى وتمثلها الجملة القصيرة المشحونة بمسافة تأملية وكثافة دلالية، وهذا المستوى الأسلوبي ارتبط تماما بمشروع البياتي، وظهرت تأثيراته اللاحقة في القصيدة العربية الحديثة بشكليها التفعيلوي والنثري.

أما المستوى الثاني، فهو بناء الجملة السردية القائمة على اختزال هذا السرد في مقطوعات تدويرية تكتمل باكتمال الجملة من حيث إيقاعها ومعناها في الوقت نفسه. وهذا المستوى مهد هو الآخر، وحدس ممكنات القصيدة العربية في انفتاحها على الأشكال الكتابية الأخرى، وتمثل قصائد البياتي في السبعينات أنموذجا لهذا المستوى، خاصة في دواوينه ((قصائد حب على بوابات العالم السابع)) و ((قمر شيراز)) و ((مملكة السنبلة)).

* * *

في قصيدته ((عذاب الحلاج ـ المريد)) يقدم البياتي، نموذجا رائدا آخر في طبيعة ومستوى التعامل مع موضوعة التصوف التي شاعت كثيرا في الشعر العربي الحديث، فالقصيدة لا تقوم على استعارة البلاغة الصوفية ومفرداتها المعهودة، بل تقوم على إيجاد جسر إلى العصر يمر فوقه الحلاج ليصل إلى الشاعر، بمعنى آخر، إن أغلب التجارب في الشعر العربي الحديث، التي تعاطت مع موضوعة التصوف، كانت تلبس جلابيب القرون الماضية، لتذهب إلى هناك وتأتينا بقصائد مشحونة بوجد السابقين وفخامة ((لغتهم)) وعذاب ((أرواحهم)) بينما لا وجد للشاعر ولا وجود للغته وعصره وعذاب روحه.

أردت من هذا أن أوضح مسألة مهمة تتعلق بخصوصية منحى البياتي في عالم التصوف، وهي أن له عالمه المبتكر لا المتكرر، والمبني لا المعطى. فالتصوف مذاهب، وللمتصوفة مدارسهم، فصوفية ابن عربي مثلا ليست كصوفية الحلاج، ولا ابن سبعين كأبي يزيد البسطامي مثلا، لكن ما وقعت فيه الشعرية العربية هو عدم التفريق بين المذاهب الصوفية، وهو ما آل إلى تماهيها اللاواعي مع

تركيبة مختلطة من المذاهب الصوفية، لذلك لم نقرأ في هذا الإطار مشروعا شعريا واضحا يحقق تغايرا نوعيا عما سواه من المشاريع، دخلت لغة الشعر بطابور طويل إلى كهنوت صوفي ولم تخرج منه بإشارات معرفية تدلنا على خارطة الألم في الراهن العربي.

تجربة البياتي في التصوف، اختارت طريقا آخر خارج الحشد وأسست له منذ البداية، وهذا التأسيس يرتبط بمشروع الحداثة الذي تمثلته تجربته وهو تأسيس محكوم بخصوصية شعريته كذلك.

لدى البياتي مذهب آخر، مجاور ومحاور لمذاهب المتصوفة فهو ((لا يشرب من آبارهم ولا يتلطخ بأصباغهم.)) الحياة المعاصرة، كانت مشهدا صوفيا كبيرا له، يحاور فيه أشياءه وهو يرى إلى المرضى الذين يتجمعون حول الأضرحة، إلى الأضرحة التي تتصل بمفردات الحياة اليومية، إلى الفقراء بملابسهم الرثة والأطفال المشردين في أزقة بغداد، حيث كل منهم يتبع حقيقته، الحقيقة التي دأب البياتي على قراءتها في هذا المشهد المتداخل، بعيدا عن الوقوع في المنهجيات الصارمة لقراءة التصوف.

وإذا كان الاستشراق أول من عرف بالتصوف الإسلامي، وذلك مع النصف الأول من هذا القرن، من خلال لويس ماسينيون وفلهاوزن، وفان فلوتن وسواهم، فإن عددا وافرا من الشعراء العرب وقع تحت وطأة هذه القراءة الاستشراقية للتصوف العربي، وقدم التصوف كمعطى ومفهوم خارجي، يخضع لتحليل لا يخلو من تعسف إيديولوجي، يصل أحيانا إلى العشوائية في قراءة المنهج الصوفي في سياقه الحياتي والفكري.

في هذه ((المختارات)) تبرز الرؤيا الشرقية لشاعرنا الكبير في فهم التصوف وفي التركيز على ربط الظواهر بطبيعتها وفي

سياقها الحضاري. فهي متصلة بالحياة نفسها، ففي حين يقوم الفهم الوجودي، على قراءة الظواهر ((كما تتبدى في الشعور)) يذهب البياتي إلى أبعد من ذلك حين يقوم بربطها، كذلك، باللحظة الآنية، بوصفها عالما متغيرا وحقيقة غير منجزة.

ويأتي النور الذي يصل اللحظات والأكوان ويغذيها في طريق البحث عن الحقيقة، ذلك النور الذي يأتي من ((غرناطة)) ليلتقي بـ ((نار الخيام)) وبينهما يكتب البياتي سيرته الباطنية داخل وهج هذه النار وبقناع الخيام نفسه، متعقبا آثار ذلك النور اللازمني وهو يتحول من قوة الحدس، إلى فعل حسي خاص ، يخرج المفهومات من تجريدها ويضعها في مسرح التجربة والرؤية والاكتشاف.

ويرتبط مفهوم ((النور)) في شعر البياتي، بعنصره الطبيعي ((النار)) بمعنى أنك لا تصل إلى النور الذي يقربك من الحقيقة والعرفان إلا عندما تتقدس بنار الألم، في حياة تمنحك تحولاتها خيطا من النور، في كل لحظة تحياها، مفهوما ((النور)) و((النار)) في صوفيات البياتي يمثلان حدي المسافة بين لامتناهيي الحياة والموت حيث الأصل واحد.

في قصيدته ((صورة للسهروردي في شبابه)) مثلا تتضح مثل هذه الحقيقة، فناره هي غير نار الخيام، وبالتالي ستقوده إلى طرق أخرى في تعقب الحقيقة: ((الشيب علا رأسي وأنا مازلت صبيا لم أبدأ بعد طوافي ورحيلي ، فإذا احترق الخيام بنار الحب واصبح في حان الأقدار حجابا ، فأنا حول النار فراش مازلت أحوم وأفني ليلي سكرا.))

* * *

عندما يكتب البياتي عن ((المدن)) فهو لا يشرع في استخدام بوصلة سياحية أو خارطة الذاكرة، للتقدم في معالم هذه المدن، انه هنا يعود إلى فكرة ((النموذج البدئي)) للمدن. فالكتابة عن المدن التي يراها، أو حتى تلك التي لم يرها، ترتبط لدى البياتي، بالمحو أو النسيان، فعالم المثل لا يشكل حاجزا بين الرائي وما يرى ، لكن نسيان الأشياء والأحداث والأشخاص هو الذي يجعل الأمكنة تحدث من جديد، وبذلك يقدم البياتي زيارات متلاحقة لعالم النسيان، حيث مدن جديدة تولد هناك ولا أحد يراها.

المدينة لدى البياتي، لا تقتصر على كونها ((مكانا)) ولا تنحصر كذلك في انعكاسات عناصر هذا ((المكان)) على المبدع - حسب باشلار - بل إن عناصر المكان، بذاتها، تنتمي إلى خارطة الأحداث التي يوقن الشاعر أنه عاشها.

عندما يكتب البياتي، فهو يعاود زيارة ((النسيان)) إنه أشبه بمحارب آشوري، يتجول في متاحف أوروبا ويجد أسلحته ودروعه وعرباته الحربية معروضة في أحد المتاحف، فيأخذه حنين إلى تاريخه الشخصي المهدور في النسيان.

وعندما يقرأ البياتي نقشا أمويا في قصر الحمراء فهو يتنسم عرق اليد التي تبدو في قصائده، وكأنها فرغت للتو من حفر النقوش وذهبت للوضوء في مكان آخر من الأندلس. لذلك فإن قصائد البياتي عن المدن، سواء كانت أندلسية أم شرقية فارسية، يلتقي فيها التاريخي باليومي، بل يتماهيان إلى حد استحالة الفصل بينهما.

يعبر البشر الذين كانوا في هذه المدن، على جسر القصيدة، وكأنهم عبروا للتو إلى زمنهم، وتوا جاء آخرون وذهبوا أيضا،

وبينهم جميعا، يقف الشاعر محاورا أشكالهم التي تركوهاعلى الجدران أو روائحهم المميزة كالبصمات على الأضرحة.

مصير المدن في شعر البياتي هو مصير أسطوري ـ ديني فمدنه محاها الطوفان أو ضربها الزلزال أو أكلها الطاعون، أو صعقتها السماء أو دمرتها الحروب أو الغزاة القادمون من خلف الحدود.

هذا المصير الأسطوري ـ الديني، أعطى قصيدة البياتي، سحرا أسطوريا هي الأخرى، بمعنى أن شاعرنا الكبير لا يلجأ إلى استخدام الأسطورة ((خارجيا)) بل يكثفها داخل القصيدة نفسها. إذ لا فواصل بين الأسطوري والراهن في قصيدته، إنما ثمة تماه واضح بينهما.

في قصيدته ((الولادة في مدن لم تولد)) من ديوان ((بستان عائشة)) يقول البياتي:

"وعلى أرصفة المنفى

انهض من بعد الموت

لأولد في مدن لم تولد

وأموت."

المدينة هنا تمثل رحلة ((العود الأبدي)) الدائرية، حيث الزمن معكوسا، يصطدم في طريق إيابه بعديد من الأشخاص والأحداث، هذا الزمن، هو مصهر داخلي، يتحول في أعماق البياتي إلى إعادة تمثيل الحدث وكأنه دائم (الحدوث) الآن، هنا.

مدن البياتي هي أحد أقانيم ثلاثة يسعى من خلالها إلى تأنيث العالم وهي: القصيدة، المدينة، المرأة، هذه الأقانيم الثلاثة تدخل عالمه فتتحرك مدن ميتة وتنهض ((عائشة من ضريحها الأبدي:

الحياة))، تصبح القصيدة في هذه الحالة جنة انبعاث لمدنه ونسائه، وهذا هو السر الذي يجعل قصيدته خالدة، ذلك أنها تخلد المؤقت والزائل، وتجعلهما أبديين، فتخلد هي أيضا.

في قصيدته ((شهوة الحياة)) من ديوانه الأخير ((البحر بعيد أسمعه يتنهد)) يقول البياتي:

مت من الحياة

لكنني

مازلت طفلا جائعا

يبكي

كدودة تقرض تفاحة

كان هو الموت

وكالسيرك.

وفي مستهل قصيدة بدأها في الخمسينات ولم تنجز ـ كما أخبرني ـ يقول:

شبعت موتا فاحرق جثتي.. ولتنثري الرماد في الهاوية

هذان المقطعان، ربما شكلا مفتاحاً لبوابة تفضي إلى عالم خاص آخر في طبيعة تجربة البياتي، هذا العالم الذي يشكل مفصلا مهما وأساسيا في سياق مشروع شعري مازالت إشكالاته العميقة التي أثارها تستلزم مزيدا من الدراسة والتدقيق للكشف عما وراء حجبها والتوغل في عوالمها الباطنية.

تتميز تجربة البياتي عن بقية جيل الرواد بخصوصية فهمها ومعالجتها لفكرة الموت، وبكونها نجت إلى حد بعيد من مفهوم الموت العضوي، الذي هو نهاية لطريق المرض والألم، بل ونهاية

للحياة نفسها، وكذلك نجت من التعبير الرومانسي عن فكرة الموت الذي ساد في الشعر العربي خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، وانشغلت تجربة البياتي بالتأمل في وجه الموت نفسه، في أنْسَنَته وفي تعقب بوصلته لرسم خارطة الحياة. ومنذ قصيدته ((الموت)) في ديوان ((الذي يأتي ولا يأتي))، بدا أنه مفترق تماما في فهمه لفكرة الموت، عن سائر جيل الرواد، وبقية الشعراء العرب، صار موت الأشياء من حوله ذا معنى، أعمق وأبعد من معنى النهاية، وقدم بذلك مفهوما فلسفيا للموت، أبعده عن سطحية الغرضية، ورسم صورة خاصة ((للثعلب العجوز/ الملتحي بالورق الأصفر والرموز)) والذي ((يلعب نردا من الشيطان))، و((يقرأ في كل اللغات كتب الفلسفة الجوفاء)) هذا ((الثعلب العجوز)) الذي مر ((سكران)) تتبعه ((عجائز القرية والأطفال)).

وابتداء من ((موت عائشة)) كان هذا التناقض على مستوى المفردتين /الموت/ عائشة، يقود البياتي إلى تجذير مفهومه عن الموت خارج التلقين العام لهذه الفكرة التي انتقلت من كونها معطى حياتيا، إلى مبنى فلسفي مترسخ في مرجعيته الأساسية: الحياة.

ومن هنا فإن تسميته لأحد دواوينه بـ ((الموت في الحياة)) كان تجسيدا متقدما لهذه الفكرة، فالديوان يقدم بانوراما شاملة للموت، تبدأ من عائشة وتمر بالمدن، ((غرناطة)) وكذلك الشعراء ((لوركا وديك الجن وأبي نواس)) والشخصيات والذاكرة الحية((الإسكندر المقدوني)) و ((ألف ليلة وليلة)) و لا تنتهي عند ((الحب)) و ((العنقاء)) أو ((الموت)) و ((الثورة)).

لكن كل هؤلاء، وكل هذه الأشياء ليست ميتة، ولا تموت، إنها ليست معادلا قيميا للموت، بل على العكس هي مرادفات صريحة للخلود.

وبالعودة إلى المقطع الأول من قصيدة ((شهوة الحياة)) يتضح مفهوم البياتي الدقيق للموت: ((فالإنسان لا يموت من الموت، بل يموت من الحياة.)).

وربما كان الاشتقاق اللغوي للاسم قد دفع البياتي إلى قراءة مفهوم الموت، والعيش، أعمق وابعد من المعنى الدلالي اللغوي، إذ أن عائشة كانت أشبه بالكلمة السحرية والسرية التي فتحت الطريق المتداخل أمامه لهذه الفكرة المتقدمة عن بقية الرواد، بما يحمله اسم ((عائشة)) من دلالة لغوية تعني العيش خارج الزمن. فاسم الفاعل ((عائشة)) لا يرتبط بالزمن كما هو الفعل، فعاش في الماضي، ويعيش في المضارع، لكن اسم الفاعل هنا مفرغ من أي تحديد زمني.

غير أن مفهوم الموت ـ الحياة لدى البياتي لا يشكل التباسا في النظر إلى ما حول الشاعر، فهو معني بالبصيرة التي تقوده بحنين غامض إلى نموذج بدئي لا تتنازعه قوتا الموت والحياة، بل يشكل هذا النموذج بؤرة لهما معا، أو بمعنى آخر، كان النموذج البدئي ثمرة لزواج الموت من الحياة.

غير أن مشهد الموت ـ الحياة، ليس مشهدا متخيلا، لكنه فكرة مستلة من المشهد اليومي نفسه، قلت إن الحياة مرجع أساسي في تجربة البياتي ، ولذلك فهو قارئ استثنائي لمشهديتها الداخلية، إلى الدرجة التي توصله إلى الكشف عن نقيضها داخل تفاصيلها. كأنه وهو يتأمل هذه التفصيلات، يخلق من ((الانتظار)) موعدا للقاء بين الحياة والموت.

من هنا فإن حضور الأمكنة المتصل بالحضور المكثف للحياة، والتي تطل في الوقت نفسه على المشهد الوجودي العام للبشر،

ومشاغلهم التي يتسرب منها الموت، تعد موعـدا نموذجيـا للبيـاتي للكشف عن هذا التداخل.

ومن هنا تحضر ((المقهى)) وكذلك ((الحانة)) بكثافة صريحـة في شعره، كثافة تجمع بين اليومي بتدفقه والأسطوري بخفاياه.

وإذا كان هذان العنصران هما من أساسيات المضمون الحياتي لتجربة البياتي، فإنهما الكهنوت الذي يجمع فيه الرؤيـة، بالرؤيـا، بين الوحشة والألفة الخاصة مع هذا الموعد.

أخيرا..

فـإن هـذه ((المختـارات)) لا تدعـي أنهـا تسـعى إلى اصطفـاء ((الأفضل)) من شعر البياتي، فهذا ليس من دواعيها البتة، عدا عـن أن تجربة البياتي تجربة يكمل لاحقها سـابقها، ولكنـني توخيـت مـن خلالها التأكيد على جانب ((الغنى)) والتنوع في هـذه التجربـة الـتي أسست بقوة لمشروع شعري متقـدم، حـاولت فيهـا أن أقـرأ البيـاتي الكبير برؤيا خاصة، لحداثة شـعرية امتلكـت شـروطها الواضحـة في المتن الشعري العربي.

محمد مظلوم

دمشق



مسافر بلا حقائب

من لا مكان

لا وجه، لا تاريخ لي، من لا مكان

تحت السماء، وفي عويل الريح أسمعها تناديني:

((تعال)) !

لا وجه، لا تاريخ.. أسمعها تناديني: ((تعال)) !

عبر التلال

مستنقع التاريخ يعبره رجال

عدد الرمال

والأرض مازالت، وما زال الرجال

يلهو بهم عبث الظلال

مستنقع التاريخ والأرض الحزينة والرجال

عبر التلال

ولعل قد مرت علي... علي آلاف الليال

وأنا - سدى - في الريح أسمعها تناديني ((تعال)) !

عبر التلال

وأنا وآلاف السنين
متثائب، ضجر، حزين
من لا مكان
تحت السماءْ
في داخلي نفسي تموت، بلا رجاء
وأنا آلاف السنين
متثائب، ضجر، حزين
سأكون! لاجدوى، سأبقى دائما من لا مكان
لا وجه، لا تاريخ لي، من لا مكان
الضوء يصدمني، وضوضاء المدينة من بعيد
نَفْسُ الحياة يعيد رصف طريقها، سأم جديد
أقوى من الموت العنيد
سأم جديد
وأسير لا ألوي على شيء، وآلاف السنين
لا شيء ينتظر المسافر غير حاضره الحزين
وحل وطين
وعيون آلاف الجنادب والسنين
وتلوح أسوار المدينة، أي نفع أرتجيه؟
من عالم ما زال والأمس الكريه
يحيا، وليس يقول: ((إيه))
يحيا على جيف معطرة الجباه
نفس الحياة يعيد رصف طريقها، سأم جديد

أقوى من الموت العنيد

تحت السماء

بلا رجاء

في داخلي نفسي تموت

كالعنكبوت

نفسي تموت

وعلى الجدار

ضوء النهار

يمتص أعوامي، ويبصقها دما، ضوء النهار

أبدا لأجلي، لم يكن هذا النهار

الباب أغلق الهم يكن هذا النهار

أبدا لأجلي لم يكن هذا النهار

سأكون! لا جدوى، سأبقى دائما من لامكان

لا وجه، لا تاريخ لي، من لا مكان

* * *

من ديوان ((أباريق مهشمة)) ١٩٥٤

سارق النار

داروا مع الشمس فانهارت عزائمهم
وعاد أولهم ينعي على الثاني
وسارق النارِ لم يبرح كعادته
يسابق الريح من حان إلى حان
ولم تزل لعنةُ الآباء تتبعه
وتحجب الأرض عن مصباحه القاني
ولم تزل في السجون السود رائحة
وفي الملاجئ من تاريخه العاني
مشاعل كلما الطاغوت أطفأها
عادت تضيء على أشلاء إنسان
عصر البطولات قد ولى وها أنذا
أعود من عالم الموتى بخذلان
وحدي احترقت! أنا وحدي! وكم عبرت
بي الشموس ولم تحفل بأحزاني
إني غفرت لهم

إنيَ رثيت لهم!
إني تركت لهم
يا رب أكفاني!
فلتلعب الصدفة العمياء لعبتها
فقد بصقت على قيدي وسجاني
وما علي إذا عادوا بخيبتهم
وعاد أولهم ينعى على الثاني

من ديوان "اباريق مهشمة"

سوق القرية

الشمس، والحمر الهزيلة، والذباب
وحذاء جنديٍّ قديم
يتداول الأيدي، وفلاح يحدِّقُ في الفراغ:
((في مطلع العام الجديد
يداي تمتلئان حتما بالنقود
وسأشتري هذا الحذاء))
وصياح ديكٍ فرَّ من قفص، وقديس صغيرْ:
((ما حك جلدك مثل ظفرك))
و ((الطريق إلى الجحيمْ
من جنة الفردوس ((أقرب)) والذباب
والحاصدون المتعبون:
((زرعوا، ولم نأكلْ
ونزرع، صاغرين، فيأكلون))
والعائدون من المدينة: يا لها وحشا ضرير
صرعاه موتانا، وأجسادُ النساء

و((الحالمون الطيبون))
وخوار أبقار، وبائعة الأساور والعطور
كالخنفساء تدب: ((قبرتي العزيزة)) يا سدوم!
لن يصلح العطار ما قد أفسد الدهر الغشوم
وبنادق سود ومحراث ، ونار
تخبو، وحداد يراود جفنه الدامي النعاس:
((أبدا، على أشكالها تقع الطيور
والبحر لا يقوى على غسل الخطايا، والدموع))
والشمس في كبد السماء
وبائعات الكرم يجمعن السلال:
((عينا حبيبي كوكبان
وصدره ورد الربيع))
والسوق يقفزُ، والحوانيت الصغيرة والذباب
يصطاده الأطفال، والأفق البعيد
وتثاؤب الأكواخ في غاب النخيل

من ديوان ((أباريق مهشمة)) ١٩٥٤

القرصان

غليونه القذر المدمى والضباب،
وكوة الحان الصغير
ورفاقه المتآمرون يثرثرون:
((البحر مقبرة الضمير))
ويقلبون كؤوسهم ويقهقهون:
((هذا العجوز ألا يكفُّ عن الشخير؟))
والليل والحان الصغير
ورفاقه والخمر والدم والضباب
صور تعود به، تعود إلى الوراء
إلى جزيرته وشاطئها وآلاف السفائن، والرجال
والمومساتْ
بثيابهن الباليات
يجمعن أعواد الثقاب
وينتظرن على الرصيف
والسحب تبكي والخريف

في أخريات الليل، والبحر الغضوب
ورفاقه المتآمرون
عما قريب يقلعون، ويتركونْ
هذا العجوز
للخمر والدم والضباب
والنوم والحان الصغير
ليستعيد!
وأي ذكرى يستعيد
هذا العجوز
أفضائح الأمس القريب أم البعيد؟
في الشرق، في أرض المعابد والكنوزْ
حيث القباب، وحيث آبار الزيوت
يتلاقيان على صعيدْ
وحولهم شعب يموت
ليستعيد!
وأي ذكرى يستعيد؟
هذا العجوز
واللطخة السوداء في تاريخه الدامي اللعين
كالنار باقية تثير الخوف والحقد الدفين
في قلب إفريقيا وفي الكنج المقدس، والقنال
حيث الرجال السمر تحت الشمس يقتحمون إعصار المنون
ويصنعون

تاريخهم، ويدافعون
عن الحضارة، والغد المأمول بالدم والدموع
وحيث صحراء الصقيع
والثائرون
والريح تعول في الخنادق والجنود
يتساءلون: ((متى نعود؟))
ويظل ((لص البحر)) يضحك، والسماءْ
تبكي وتبكي والخريف
والمومسات على الرصيف
يجمعن أعواد الثقاب
وهؤلاء، وهؤلاء
يتساءلون: ((متى نعود؟))
ويظل يضحك، والسماء، وهؤلاء
يتساءلون وفي الضباب
غليونه القذر المدمى، والرفاق العائدون يثرثرون:
((البحر مقبرة الضمين))
والليل والحان الصغير.

من ديوان ((أباريق مهشمة))١٩٥٤

الأفّاق

سكتت وأدركها الصباح، وعاد للمقهى الحزين
كالسائل المحروم، كالحلزون
ينتظر المساء
وغدا ستوصد بابها في وجهه، ويعود للمقهى الحزين
ولا يعود
كالسائل المحروم ينتظر المساء
ولربما سيقول عنه الآخرون - ويهزأون
من سره المدفون:
((أفاق لئيم!))
ويضحكون ويوصدون
أبوابهم في وجهه، ويعود للمقهى الحزين
كالبيذق المخذول
كالحلزون يحلم بالمراعي والحقول
بالشمس تجنح للأفول
وبالفيافي الموحشات، وبالرحيل
ونبي قريته، وصوت (العمدة) القاسي النحيل
وبالسنابل والربيع

ورضيع جارته الوديع
ويستفيق
على صدى مذياع مقهاه الحزين
يعلو ويعلو فوق صوت الآخرين:
((من آخر البستان بل من آخر الدنيا
أتينا !)) فوق صوت الآخرين
وفي الطريق
البردَ والعربات والليل الطويل
ومنازل الموتى، وشحاذ هزيل
ونوافذ بيض، منورة وآلاف النجوم
تخبو وطائرة تحوم
ويعود يحلم بالمراعي والحقول
كالبيذق المخذول، كالحلزون
يحلم بالحقول
ويستفيق
على صدى مذياع مقهاه الحزين
يعلو ويعلو فوق صوت الآخرين:
((الفجر - رغم تمائم الموتى - قريب))
وفي الطريق
الليل والعربات والفجر القريب
ويعود يحلم بالفيافي والسماء
وبالمساء وباللقاء
وبقهقهات الآخرين
والباب يوصد دونه والبرد والمقهى الحزين

وبالسعال تسحه رئتاه والدم والظلال

وبالرجال الضائعين

يتشاجرون ويضحكون ويوصدون

أبوابهم في وجهه، ويعود للمقهى الحزين ولا يعود

كالسائل المحروم ينتظر المساء

من ديوان ((أباريق مهشمة)) ١٩٥٤

صورة تقريبية لبرجوازي صغير يقرض الشعر

يشرب بالمجان والدين ـ ولا يدفع ـ في بيروت
فإن صحا، فالشام
جارية له ، على أقدامها يبول
عشرون عاما، وهو في دفتره الأسود يستجدي السكارى
نعمة الإصغاء
لشعره الهراء
ببسمة صفراء
يهز ردفيه إذا ما قرأ الأشعار
وامتثل الأمثال
ويغمز الخمار
لعله الليل أتى بقادم ليدفع الحساب
رأيته يبكي على الحسين
ويطعن الحسين
في كربلاء طعنة الجبان في العينين
يقبِّل اليد التي تصفعه لقاء ليرتين

بمال غيره كريمٌ وحفيٌ مثلما المومس بالمجان
تضاجع الرجال
فهو مدين في جميع علب الليل وفي البارات
للعاهرات ولأنصاف العذارى سيِّدات خدم الأسياد
فإن صحا في الشام
باع دم الشهيد في بيروت
وسجل الباقي على الحساب
يخاف من ذكر الذباب ولصوص العالم الصغار
لأنه يعيش في أكنافهم سكران بالمجان
ذبابة تلتمس الفتات
وأرنبا جبان
ينافق السلطان
تدمع عيناه إذا ما أيقظت ((فيروز))
بحيرة الفيروز في غنائها ورشت الرموز
فوق جبال النور
لكنه يسقط بعد لحظة في وحل الأشياء
ملطخا وغارقا في العار
رأيته في سنوات الموت والحصار
ممثلا في الشام.
دور الذي تعبده النساء.. دون جوان
دور صديق قائد الأركان.

....

معلقا من ذيله كالببغاء الأعور السكران
يشرب بالمجان

ينشد شعرا للصوص الثورة الخصيان
في هيئة الأركان
إن جاع يوما رفع الراية للأعداء
وجاد بالخد إلى الصافع والقفا إلى الحذاء
ولعق الحذاء
أو ضاع في شوارع المدينة
وجدته يبحث عن مستمعين في دخان البار

من ديوان ((يوميات سياسي محترف)) ١٩٧٠

المخبر

السيد البرميل
قفاه بطنه وبطنه قفاه ذرب اللسان
يحفظ شعر المتنبي، ويقول الشعر أحيانا بلا أوزان
لكنه يخطئ في الإملاء والإعراب
يلقط في عيونه الحروف والخطوط والأرقام
يحصي نقود العابرين وهي في جيوبهم تنقص أو تزداد
يعيد ما يقوله أو قاله الإمام
في خطبة الجمعة أو في مأتم يقام
يتقن فن الكذب والتزوير في الأحكام
يركب كل موجة، لكنه يسقط قبل شاطئ الأمان
ثدياه ثديا مومس عارية في الشمس
تفتح ساقيها لقاء فلس
له قرون التيس والخرتيت
وضحكة الخنيث
لسانه حبل غسيل في الضحى وفي الدجى منشار
تنشر فيه جثث الأموات
وقطع الحديد والأحجار

وخرقة تمسح فيها كلمات ا لله
رأيته في مدن الشرق وفي أسواقها يبصق في عيونه الحدَّاد
وبائع الخضار والعطار
وهو على الرصيف في مذلة القواد
ممدَّدٌ، يتبع في عيونه وقع خطى الأصوات والشفاه
ويقرأ المكتوب في دفاتر الأطفال
ومزق الجرائد الصفراء
وكتب الأسفار
ويتبع الطيور للمنفى ويبني حولها أسوار
وينصبُ الشِّراك
لعاشق النور الذي تأكله النسور فوق السور
وهو على صليبه مرتحل وكائن موجود
ورافض مرفوض
والسيد البرميل
يظهر في كل زمان ومكان شاهدا، مزورا قواد
في حرم الطغاة
وفي طوابير اللصوص وصفوف مخبري السلطان
يسرق أسلاب الضحايا ساعة الإعدام
يتلو على الجلاد والضحية الآيات
وعبر التاريخ والعظات
وينتهي كما انتهى اللصوص والشطار
عبدا إلى أسياده وخادما للبيع والإيجار.

من ديوان ((يوميات سياسي محترف)) ١٩٧٠

سلاما أثينا

الشمس في معسكر اعتقال
تحرسها الكلاب والتلال
لعل ألف ليلة مرت
ولا تزال
((بنلوب)) في انتظارها
تغزل ثوب النار
أو ((أوليس)) في جزيرة المحال
يرسف في الأغلال
لعل في ((الأولمب)) لا تزال
آلهة الإغريق تستجدي
عقيم البرق في الجبال
طعامها النبيذ والخبز
وآلام الملايين من الرجال
قلت سلاما !
وبكى قلبي
وكان الفجر في الأطلال

يضيء وجه العالم الجديد
وجه شاعر يحطم الأغلال..

من ديوان ((عشرون قصيدة من برلين)) ١٩٥٩

الطريد

حلمت

أني هارب طريد

في غابة

في وطن بعيد

تتبعني الذئاب

عبر البراري السود والهضاب

حلمت

والفراق يا حبيبتي عذاب

أني بلا وطن

أموت في مدينة مجهولة

أموت

يا حبيبتي

وحدي بلا وطن

من ديوان ((كلمات لا تموت)) ١٩٦٠

حضارة الغرب

حضارة تنهار
قلب من الطين
وعينان بلا قرار
يجف في بئريهما النهار
عاهرة خلفها القطار
في ليل أوروبا بلا دثار
تموت تحت البرد والأمطار
وددت
لو صحت بها:
أيتها العجوز
يا هتيكة الإزار
قد فاتك القطار

((كلمات لا تموت)).١٩٦٠

اعتذار عن خطبة قصيرة

سيداتي، سادتي
خطبتي كانت قصيرة
فأنا أكره أن يستغرق اللفظ زماني
ولساني
ليس سيفا من خشب
كلماتي، سيداتي، من ذهب
كلماتي، سادتي، كانت عناقيد الغضب
وأنا لست بسكران، ولكني متعب
الشموع انطفأت
والليالي بردت
وأنا أحمل قلبي في حقيبة
مثل طفل جائعٍ، أغرق بالدمع صليبه
عبر آلاف الخيانات وآلاف الأكاذيب الحقيرة
خطبتي كانت قصيرة
وأنا لست بسكران، ولكنـيَ أسخر
من عذابي
وأنا لست بقيصر

إن روما تحترق
إن روحي تختنق
عبر آلاف الخيانات وآلاف الأكاذيب الحقيرة
فوداعا
سيداتي سادتي

ستوكهولم ١٩٦٠/٦/٨

من ديوان ((النار والكلمات)) ١٩٦٤

الأعداء

صبوا الماء على الماء
رقصوا فوق حبال الكلمات الصفراء
صنعوا شعراء
نصبوا خلفاء
ومطايا وطواحين هواء
فإذا الكل هباء
قبض الريح
غثاء
الشعر نقاط سوداء
الحب بكاء
التاريخ فتوح نساء
فالكلمات الكاذبة الجوفاء
لن تصنع عنقاء
من جمل الصحراء

القطط العمياء
تلد القطط العمياء

من أسكت صيحات الشعراء؟
من يبكي !
من مات ؟
قبض الريح
فانثر أزهارك في الريح
واصمد في وجه الريح
واصفع تجار الكلمات
العور الأقزام
سقط متاع الأيام

أرض الصلوات الخرساء
ولدت فأرا
ولدت حرباء
وسبايا وفقاقيع هواء

حبي : مائدة الفقراء
حزني : بستان التعساء
فليشرب ماء البحر الأعداء
موسكو - ١٩٦٣

من ديوان ((النار والكلمات)) ١٩٦٤

الأب الشاعر

في مدن العالم
في بيوتها
في العلب السردين
في وحشة الغروب
في الخريف
في زماننا الحزين
في الساعة الخامسة العشرين
رايته يدوس فوق ظله
يدق في ضلوعه إسفين
يمنح للجياع والباكين
ربيعه الأسودَ
فيض حبه الدفين
يسكت جوع نسره
بمضغٍ من قلبه
ويكتم الأنين
يموت والإصرار في عيونه
في الساعة الخامسة العشرين

من ديوان ((النار والكلمات)) ١٩٦٤

عذاب الحلاج ـ المريد

سقطت في العتمة والفراغ
تلطخت روحك بالأصباغ
شربت من آبارهم
أصابك الدوار
تلوثت يداك بالحبر وبالغبار
وها أنا أراك عاكفا على رماد هذي النار
صمتك بيت العنكبوت، تاجك الصبار
يا ناحرا ناقته للجار
طرقت بابي بعد أن نام المغني
بعد أن تحطم القيثار
من أين لي وأنت في الحضرة تستجلي
وأين أنتهي وأنت في بداية انتهاء
موعدنا الحشر، فلا تفضَّ ختم كلمات الريح فوق الماء
ولا تمسّ ضرع هذي العنزة الجرباء
فباطن الأشياء

ظاهرها.. فظن ما تشاء
وها أنا أقلب الأصداف .
لعلها أوراق ورد طيرتها الريح فوق ميت، لعلها أطياف
.

من ديوان ((سفر الفقر والثورة)) ١٩٦٥

قصيدتان إلى ولدي علي

- ١ -

قمري الحزينْ
البحر مات وغيبت أمواجُهُ السوداء قلع السندباد
ولم يعد أبناؤه يتصايحون مع النوارس والصدى المبحوح عاد
والأفق كفَّنه الرمادْ
فلمن تغني الساحرات؟
والبحر مات
والعشب فوق جبينه يطفو وتطفو دنيوات
كانت لنا فيها، إذا غنى المغني، ذكريات
غرقت جزيرتنا وما عاد الغناء
إلا بكاء
والقبرات
طارت، فيا قمري الحزين
الكنز في المجرى دفين
في آخر البستان، تحت شجيرة الليمون، خبأه هناك السندباد
لكنه خاو، وها أن الرماد

والثلج والظلمات والأوراق تطمره وتطمر بالضباب الكائنات
أكذا نموت بهذه الأرض الخراب؟
ويجف قنديل الطفولة في التراب؟
أهكذ شمس النهار
تخبو وليس بموقد الفقراء نار؟

- ٢ -

مدن بلا فجر تنام
ناديت باسمك في شوارعها، فجاوبني الظلام
وسألت عنك الريح وهي تئن في قلب السكون
ورأيت وجهك في المرايا والعيون
وفي زجاج نوافذ الفجر البعيد
وفي بطاقات البريد
مدن بلا فجر يغطيها الجليد
هجرت كنائسَها عصافير الربيع
فلمن تغني، والمقاهي أوصدت أبوابها
ولمن تصلي؟ أيها القلب الصديع
والليل مات
والمركبات
عادت بلا خيل يغطيها الصقيع
وسائقوها ميتون
أهكذا تمضي السنون؟
ويمزق القلب العذاب؟
ونحن من منفى إلى منفى ومن باب لباب

نذوي كما تذوي الزنابق في التراب
فقراء ، يا قمري، نموت
وقطارنا أبدا يفوت

١٩٦٥/٣/٣١

من ديوان ((سفر الفقر والثورة)) ١٩٦٥

الليل فوق نيسابور

كل الغزاة ، من هنا، مروا بنيسابور
العربات الفارغة
وسارقو الأطفال والقبور
وبائعو خواتم النحاس
وقارعو الأجراس
كل الغزاة بصقوا في وجهها المجدور
وضاجعوها، وهي في المخاض
حياتنا فيها، وفي داخل هذا النفق المسدود
رواية مملة مثلها أحمق أو مجنون
ـ أيتها الأنقاض!
دقت طبول الموت في الساحات
وأعدم الأسرى وهم أموات
ـ لسانها الثرثار
يقطع فيه خشب التابوت
خيوط عنكبوت
تلتف حول هذه الذبابة.
أيتها السحابة!

لتغسلي ذوائب المدينة الثرثارة
وهذه القذارة
كل الغزاة من هنا مروا بنيسابور
على ظهور الصافنات وعلى أجنحة الطيور
البشر الفانون
يحطمون بيضة النسر، ويولدون
من زبد البحر ومن قراءة الأمواج
من وجع الأرض ومن تكسر الزجاج
أقدام جرذان على السجاد
مرت، ونار ومضت من خلل الرماد
ـ لنقرأ الكتاب بالمقلوب
منقبين في حواشيه عن المكتوب والمحجوب
كان علينا أن نضيء النور
في ليل نيسابور

من ديوان ((الذي يأتي ولا يأتي)) ١٩٦٦

في حانة الأقدار

القمر الأعمى ببطن الحوت
وأنت في الغربة لا تحيا ولا تموت
نار المجوس انطفأت
فأوقد الفانوس
وأبحث عن الفراشة
لعلها تطير في هذا الظلام الأخضر المسحور
واشرب ظلام النور
وحطم الزجاجة
فهذه الليلة لا تعود
ـ أصابك السهم، فلا مفر، يا خيام
ولتحسب الديك حمارا، إنها مشيئة الأيام
ـ الضبي في الصحراء
وراءه تجري كلاب الصيد في المساء
والخمر في الإناء
فعب ما تشاء
بقبة السماء
أو قدح البكاء

في حانة الأقدار
حتى تموت فارغ اليدين تحت قدم الخمار
رفيقك الوحيد في رحلتك الأخيرة
لمدن النمل التي تحكمها الأرقام والبنوك
- يا أيها المملوك
بكم تبيع هذه القيود
فهذه الليلة لن تعود
طارت، كما طار بنا بساط ألف ليلة
معانقين تحت أضواء النجوم ((دجلة))
وزارعين نخلة
فداعب الأوتار
فديك هذا الليل مات قبل أن ينبلج النهار

((الذي يأتي ولا يأتي)) ١٩٦٦

الذي يأتي ولا يأتي

عائشة ماتت، ولكني أراها تذرع الظلام
تنتظر الفارس يأتي من بلاد الشام
- أيتها الذبابة العمياء
لا تحجبي الضياء
عني، وعن عائشة، أيتها الشمطاء
- مغشوشة خمرة تلك الحان
سكرت بالمجان
وزحف الدود على جبينك المتقع الأسيان
وجفت العينان
- مولاي، لا يبقى سوى الواحد القيوم
وهذه النجوم
الكل باطل وقبض الريح
- عائشة ماتت، ولكني أراها مثلما أراك
قالت، ومدت يدها: أهواك
وابتسم الملاك
فلتمطري أيتها السحابة
أيان شئت، فغدا تخضر نيسابور

تعود لي من قبرها المهجور
تمسح خدي وتروّي الصخر والعظام
- يأتي ولا يأتي، أراه مقبلا نحوي، ولا أراه
تشير لي يداه
من شاطئ الموت الذي يبدأ حيث تبدأ الحياة
- من كان يبكي تحت هذا السور؟
كلاب رؤيا ساحر مسحور
تنبح في الديجور
أم ميت الجذور
في باطن الأرض التي تنتظر النشور
- من كان يبكي تحت هذا السور؟
لعلها الريح التي تسبق من يأتي ولا يأتي
لعل شاعرا يولد أو يموت

من ديوان ((الذي يأتي ولا يأتي))١٩٦٦

الوريث

يجف في عيون بوذا النور
تنقطع الجذور
وآخر السلالة
حفيد هوميروس في مدريد
يعدم رميا بالرصاص، ارم العماد
تغرق في ذاكرة الأحفاد
مات المغني، ماتت الغابات
وشهريار مات
وريث هذا العالم المدفون في أعماقنا يموت
المعدن الخسيس والياقوت
سفينة تغرق في عاصفة ، تابوت
يضم عظمين وعنكبوت
بوذا. وأورفيوس
المدن الغالبة المغلوبة
بابل، روما، نينوى وطيبة
ا لله والشيطان
وريث هذا العالم الإنسان

يحوم حول سوره عريان
فاكهة محرمة
ومدن بلا ربيع مظلمة
مفتوحة، مستسلمة
تحيا على الفتات
مات المغني، ماتت الغابات
والعندليب مات
وريث هذا العالم المدفون في الأعماق
يلهث مهزوما على قارعة الطريق
يحمل وجه هالك غريق
ينام في المقهى، ككلب جائع، أفاق
يبحث عن وظيفة شاغرة في صحف الصباح
يعدو بلا أقدام
في الشارع المهجور والزحام
تأكله الحمى، تدير رأسه الأرقام
يجوب مهجورا بلا أحلام
شوارع المدينة الخلفية الصماء
يفرغ في حدائق المساء
حياته الجوفاء
وريث هذا العالم المهان
يبحث عن مكان
يموت فيه صاغرا، كالكلب، بالمجان

من ديوان ((الذي يأتي ولا يأتي)) ١٩٦٦

بكائية

عدت إلى جحيم نيسابور
لقاعها المهجور
للعالم السفلي، للبيت القديم الموحش المقرور
أبحث عن عائشة في ذلك السرداب
أتبع موتها وراء الليل والأبواب
كزورق ليس به أحد
تتبعني جنازة الشمس إلى الأبد
ـ من ههنا أنزلها الحفار
للقبر وهي في ثياب العرس، فوق رأسها تاج من الأزهار
وغيمة من نار
وههنا ساحرة شمطاء
كانت وراء النعش تبكي، وهنا عصفور
حط على التابوت
أتبع موتها بلا دليل
اجر خلفي سنوات حبها كذيلِ ثوب فاقع طويل
طرقت باب العالم السفلي مرتين
فمدَّ لي حارسها يدين

وقال لي: من أين

قلت : أنر لي هذه السحوب

فالليل في الدروب

قال وكانت يده تعبث بالمكتوب

ليقرأ المحجوب:

ـ عائشة ليست هنا، ليس هنا أحد

فزورق الأبد

مضى غدا، وعاد بعد غد

عائشة ليس لها مكان

فهي مع الزمان، في الزمان

ضائعة كالريح في العراء

ونجمة الصباح في المساء

فعد لنيسابور

لوجهها الآخر، يامخمور

وثر على الطغاة والآلهة العمياء

والموت بالمجان والقضاء.

من ديوان ((الذي يأتي ولا يأتي)) ١٩٦٦

الموت

الثعلب العجوز
الملتحي بالورق الأصفر والرموز
المرتدي عباءة الليل، وفوق رأسه طاقية الإخفاء
يفتض كل ليلة عذراء
يفترس النعاج والأطفال
يرضع ثدي هذه الشمطاء
يغدر بالعشاق
يضحك مزهوا من الأعماق
يرفس في حافره السماء
يلعب بالتيجان
نردا مع الشيطان
يأخذ شكل هرة سوداء
تموء في الظلماء
يطارد الفراخ والأشباح.
يمارس السحر بلا شعوذة، ويضرب الضحية العمياء
بيده الثلجية الصفراء
يقرأ في كل اللغات كتب الفلسفة الجوفاء

يرمي بها للنار
يزيف النقود والأفكار
يندس في قلب المغني، يقطع الأوتار
يذل من يشاء
يعز من يشاء
الملك الوحيد في مملكة الأحياء
الثعلب العجوز
الملتحي بالورق الأصفر والرموز
يغدر بالجلاد والضحية
يغتصب الجنية
في قصرها المسحور
يجرها من شعرها عارية للنور
يعوي مع الرياح
يطفئ في قصر الأمير النائم المصباح
ينسل في فراشه بردان
ينعبُ فوق الطلل البالي مع الغربان
الثعلب العجوز، مر من هنا، سكران
حوم حول البيت واستدار
اخرج لي لسانه وسار
ينفخ في المزمار
تتبعه عجائز القرية والأطفال

من ديوان ((الذي يأتي و لا يأتي)) ١٩٦٦

بكائية إلى شمس حزيران

إلى ذكرى زكي الأرسوزي

طحنتنا في مقاهي الشرق
حرب الكلمات
والسيوف الخشبية
والأكاذيب
وفرسان الهواء
نحن لم نقتل بعيرا
أو قطاة
لم نجرب لعبة الموت
ولم نلعب مع الفرسان
أو نرهن إلى الموت جواد
نحن لم نجعل من الجرح دواة
ومن الحبر دما
فوق حصاة
شغلتنا الترهات
فقتلنا بعضنا بعضا
وها نحن فتات

في مقاهي الشرق
نصطاد الذباب
نرتدي أقنعة الأحياء
في مزبلة التاريخ
أشباه رجالٍ
لم نعلّقْ جرسا
في ذيل هر أو حمار
أو نقل للأعور الدجال
لِمْ لذت
بأذيال الفرار
نحن جيل الموت بالمجان
جيل الصدقات
هزمتنا في مقاهي الشرق
حرب الكلمات.
والطواويس التي تختال
في ساحات
موت الكبرياء
ومقالات الذيول الأدعياء
آه لطخْ هذه الصفحات
هذا الخبر الكاذب
يا سارق قوت الفقراء
وحذاء الأمراء
بدم الصدق
ومت مثل فقاعات الهواء

لم نعد نقوى على لعق الأكاذيب
وتحبير الهراء
واجترار الترهات
نحن جيل الموت بالمجان
جيل الصدقات
لم نمت يوما
ولم نولد
ولم نعرف عذاب الشهداء
فلماذا تركونا في العراء؟
يا إلهي
للطيور الجارحات
نرتدي أسمال موتانا
ونبكي في حياء
آه لم تترك على عورتنا
شمس حزيران رداء
ولماذا تركونا للكلاب؟
جيفا دون صلاة
حاملين الوطن المصلوب في كف
وفي الأخرى التراب
آه لا تطردْ عن الجرح الذباب
فجراحي فم ((أيوب))
وآلامي انتظار
ودم يطلب ثار
يا إله الكادحين الفقراء

نحن لم نهزم
ولكن الطواويس الكبار
هزموا هم وحدهم
من قبل أن ينفخ ديار بنار
آه يا قبر حكيم نام بين الفقراء
صامتا يلبس أكفان الحداد
صامتا يشعل نار
قم تحدث
نحن موتى
نحن جيل الموت بالمجان
جيل الصدقات

من ديوان ((عيون الكلاب الميتة)) ١٩٦٩

شيء عن السعادة

كذبوا، إن السعادة
يا محمد
لا تباع
فالجرائد
كتبت أن السماء
أمطرت في ليلة الأمس ضفادع
يا صديقي، سرقوا منك السعادة
خدعوك
عذبوك
صلبوك
في حبال الكلمات
ليقولوا عنك مات
ليبيعوك مكانا في السماء
آه ما جدوى البكاء
أنا خجلان محمد
فالضفادع
سرقت منا السعادة

وأنا رغم العذاب
في طريق الشمس سائر
زرعوا الليل خناجر
وكلاب

* * *

إن سقف الليل ينهار عليهم
فتمرد!
يا محمد!
فتمرد!
وحذار أن تخون

١٩٦٢/٩/١٦

من ديوان ((عيون الكلاب الميتة)) ١٩٦٩

الموت في غرناطة

عائشة تشق بطن الحوت
ترفع في الموج يديها
تفتح التابوت
تزيح عن جبينها النقاب
تجتاز ألف باب
تنهض بعد الموت
عائدة للبيت
ها أنذا أسمعها تقول لي لبيك
جارية أعود من مملكتي إليك
وعندما قبلتها بكيت
شعرت بالهزيمة
أمام هذي الزهرة اليتيمة
الحب، يا مليكتي، مغامرة
يخسر فيها رأسه المهزوم
بكيت، فالنجوم
غابت، وعدت خاسرا مهزوم
أسائل الأطلال والرسوم

عائشة عادت، ولكني وُضِعْتُ، وأنا أموت
في ذلك التابوت
تبادل النهران
مجريهما، واحترقا تحت سماء الصيف في القيعان
وتركا جرحا على شجيرة الرمان
وطائرا ظمآن
ينوح في البستان
آه جناحي كسرته الريح
وصاح في غرناطة
معلم الصبيان
لوركا يموت، مات
أعدمه الفاشست في الليل على الفرات
ومزقوا جثته، وسملوا العينين
لوركا بلا يدين
يبث نجواه إلى العنقاء
والنور والتراب والهواء
وقطرات الماء
أيتها العذراء
ها أنذا انتهيت
مقدس، باسمك، هذا الموت
وصمت هذا البيت
ها أنذا صليت
لعودة الغائب من منفاه
لنور هذا العالم الأبيض، للموت الذي أراه

يفتح قبر عائشة
يزيح عن جبينها النقاب
يجتاز ألف باب
آه جناحي كسرته الريح
من قاع نهر الموت، يا مليكتي، أصيح
جفت جذوري، قطع الحطاب
رأسي وما استجاب
لهذه الصلاة
ارض تدور في الفراغ ودم يراق
ويحي على العراق
تحت سماء صيفه الحمراء
من قبل ألف سنة يرتفع البكاء
حزنا على شهيد كربلاء
ولم يزل على الفرات دمه المراق
يصبغ وجه الماء والنخيل في المساء
آه جناحي كسرته الريح
من قاع نهر الموت، يا مليكتي، أصيح
من ظلمة الضريح
أمدّ للنهر يدي، فتمسك السراب
يدي على التراب
يا عالما يحكمه الذئاب
ليس لنا فيه سوى حق عبور هذه الجسور
نأتي ونمضي حاملين الفقر للقبور
يا صرخات النور

ها أنذا محاصر مهجور
ها أنذا أموت
في ظلمة التابوت
يأكل لحمي ثعلب المقابر
تطعنني الخناجر
من بلد لبلد مهاجر
على جناح طائر
ـ أيتها العذراء
والنور والتراب والهواء
وقطرات الماء
ها أنذا انتهيت
مقدس، باسمك، هذا الموت

من ديوان ((الموت في الحياة))١٩٦٨

موت الإسكندر المقدوني

يسقط تحت قدم المسيح تاج الشوك
يزدحم الشارع بالموتى وباللصوص
تدور في المدينة
إشاعة مسمومة
تهاجر الطيور
لكي تموت في مساء العالم الأخير
فوق عواميد الضياء وسقوف المدن الغبراء والجسور
مصلوبة في النور
تعوي كلاب الموت في المغيب
يصدح عندليب
في الغابة المنسية
أيتها الحرائق الليلية
ها هو ذا الإسكندر الأكبر في المرآة
ينام يقظان على جواده أراه
مبللا بعرق الحمى وعطر الليل
تأكل لحم يده القطط
يتبعه القمر

والريح في التلال والقدر
يحمله الجنود في محفة الموتى على الرماح
ها هو ذا المنتصر المهزوم
يعود من أسفاره، وليس للأسفار
نهاية، مكللا بالغار
ومثقلا بالحزن والشعور بالخيبة والضياع
أمام نور العالم الأبيض والليل الذي يليه ألف ليل
وسور ((بابل)) الذي يليه ألف سور
تتبعه النجوم
لكن كلب الموت يعوي، فتغيب في ظلام الفجر
تاركة على ((الفرات)) باقة من زهر
يحملها كل صباح طائر النهار
تاجا إلى عشتار.
ها هو ذا الإسكندر الأكبر في هيكلها مطروح
يجود في أحضانها بالروح
ترف حول وجهه سنبلة خضراء
يحمله لزورق الموتى عبيد الريح
ونافخو البوقات
وصائدو غزالة الشمس على الفرات
وهم بأقواس الرماد وثياب الأسر
ملطخون بوحول النهر
ينتظرون عربات الفجر
أيتها الحرائق الليلية
في المدن الأرضية

الموت في المرآة أراه كل ليلة، أراه
يحدجني بنظرة استهزاء
وعندما أرمي شباكي حوله يصفر لي ويختفي كالجن في الإبريق
وفي الخوابي مشعلا في قدحي الحريق
يا شعلة الأولمب، يا مراكب الإغريق
شمي رفات النورس الغريق
في الأبد السحيق
وداعبي قيثارة الريح على الشطآن
وعلميني لغة الإنسان
فهذه الديدان
تذوق لحمي، مثلما كان وصيفي يبدأ الطعام
قبلي، لعل أحدا دس به السم، تذوق اللحم
تاركة جمجمة تفغر في وجه الفراغ الفم
جمجمة في القبر
على رمال البحر
حيث استحم عاريا ((آمون))
في غابر القرون
أضاجع الوحشة والضياع
في أبد ليس له قرار
منتظرا شروق شمس الله
في زرقة المياه
أسطورة أعيش بين عالم يموت
وعالم يولد من جديد
أحسُّ بالعصارة الحية تسري في عروق الأرض

وبالظلام الحي
ينبض في نواة كل شيء
وبالحضارات التي تقوضت واستسلمت للموت
وبالربيع غارقا بالصمت
وبالوحول، في انتظار الشمس
يعدو على تراب قبري فارس مجهول
ملثم نعسان
تفوح من معطفه رائحة الحقول والجبال والمطر
ما آب من سفر
إلا وكان يزمع السفر
ناديته وهو يمرُّ متعبا، لكنه ارتحل
وغاب في الجبل
مخلفا وراءه آثار أقدام على الرمال
وقمرا يبكي على التلال
منتظرا عودته في آخر المطاف

من ديوان ((الموت في الحياة)) ١٩٦٨

شيء من ألف ليلة وليلة

- ١ -

أطير كل ليلة على جوادي الأسود المجنح المسحور
إلى بلاد لم تزوريها ولم تنتظري وحيدة في بابها المهجور
أحمل ناري ورمادي نحو سفح جبل الخرافة
ألتفُّ في عباءة النجوم
منتظرا محموم
مغطيا بالملح جرحي، نازفا موتي على الحروف
وحزن أعياد الرجال الجوف
معلقا بالريح والديجور
معصبا مخمور
بكفن الحمى ونار النور
على جوادي الأسود المسحور
أحمل مصباح علاء الدين
أغرق في الفجر المغني الشاحب الحزين
أمد سُلّماً من الأصوات
أرقى به لبابل

مغنيا وساحر
أبحث في جنانها المعلقة
عن زهرة زرقاء
عن كلمات كاهن المعبد فوق حائط البكاء
ولا أرى غير عواميد الضياء ورصيف الشارع المهجور
وسائل يلتف في أسماله مقرور
يطرق باب البلد المهجور
أسقط من فوق جواد الموت
ومن سريري، ميتا في البيت
وفي يدي جريدة
قديمة جديدة
يضحك جاري ساخرا، ويسكت المذياع
ويدرك الصباح شهرزاد

- ٢ -

رأيت خائن المسيح في بلاط الملك السعيد
منجما ومخبرا وكاتبا
وراقصا على الحبال لاعبا
يخرج من معطفه الأرانبا
ويركب الحمار بالمقلوب
أيته هرا بلا نيوب
((يحكي انتفاخاً صولة الأسد))
يأكله الحسد
يطاول الإيوان

وحامل الأختام والسياف
من ظله يخاف
يلفق البكارة
للببغاء المومس الشمطاء.
رأيته شاهد زور في عصور الموت والجليد
يقول ((أحسنت)) ويستعيد
للملك السعيد
يخاف منه قائد الجند ويستشيره الوزير
بوقا لمن يعلق الجرس
كلبا من الخزف
يلعق نعل الملك الجديد
رأيته في مدن الإسمنت والأضفار والحديد
داعية ومخبرا وكاتبا
وراقصا على الحبال لاعبا
طردته فعاد
نفخت في عيونه الرماد
وأدرك الصباح شهرزاد

ـ ٣ ـ

القارة الجديدة
إكتشفتها أمام وجه الموت
في آخر الدنيا
أمام البيت
كان على شطآنها مركب سندباد

يشعل في رايته الهواء
محملا بالبرق وبالوعود
وبالنبوءات والوعود
كان المغني صامتا والعود
في يده مشدود
كانت سماء القارة
تنتظر البشارة
حيية كالقمح والجليد
رقيقة كزهرة الأوركيد
وكنت، يا حبيبتي، أنتظر المد لكي أبحر من جديد
أمد سلما من الأصوات
لارم العماد
وعندما اكتشفتها، فاجأني الرقاد
فنمت تحت السور مرتجفا مقرور
ألفا من السنين أو تزيد
تحت ركام الورق الميت والجليد
أنتظر ((الغائب)) من دمشق
يأتي على جواده تحت حراب البرق
مكتسحا ركام هذا القبر
ومشعلا نيرانه في القفر
وعندما استيقظت تحت السور
سقطت من فوق سريري ميتا مقرور
وأدرك الصباح شهرزاد

من ديوان ((الموت في الحياة)) ١٩٦٨

الحمل الكاذب

بابل لم تُبعثْ ولم يظهر على أسوارها المبشِّرُ الإنسان
ولم يدمرها ولم يغسل خطايا أهلها الطوفان
ولم يقم من قبره عبر الفرات سارق النيران
فالعقم والصيف الذي لا ينتهي والصمت والتراب
والحزن والطاعون
طعام هذي المدن المنفوخة البطون
والبشر الفانون فيها ككلاب الصيد
يحترقون تحت شمس الصيف
ما بين مهزوم وبين راسف في القيد
- العاقر الهلوك
من ألف ألف وهي في أسمالها تضاجع الملوك
ترنو لبحر الروم
بنظرة المهزوم
تمنح بالمجان
قبلتها للص والقواد والخائن والجبان
- عشرون عاما وأنا أبكي على أسوارها وأحمل الأكفان
لكنها ظلت كأورشليم

ملعونة تعج بالذباب والأصفار والحريم
أصيح منفيا على الأسوار
بابل يا مدينة الأشرار
قومي وغطي عري هذا الجسد الذابل بالأزهار
قومي لعل البرق
والفارس المجهول من دمشق
يبذر في بطنك بذرة فتحملين
أيتها البغي في أحشائك التنين
لكنها ظلت كأورشليم
ملعونة تعج بالذباب والأصفار والحريم
تفتح للغزاة ساقيها وللطغاة
تحمل حملا كاذبا في كل فجر وتموت كلما القمر
غاب وراء غابة النخيل في السحر
- دوري ودوري في الفراغ واسقطي في العار
أيتها الأصفار!
ففي غد سيسدل الستار
ويسقط الممثلون في الوحول تحت سقف المسرح المنهار

القاهرة

(١٩٦٦/٦/١٨) - ١٩٦٧/٨/٢٧

من ديوان ((الموت في الحياة)) ١٩٦٨

هبوط أورفيوس إلى العالم السفلي

صلوات الريح في آشور والفارس في درع الحديد
دون أن يهزم في الحرب يموت
ويذرّى في الدياميس رمادا وقشور
تحت سور الليل والثور الخرافي يطير
ناطحا في قرنه الشمس التي علقها الكاهن في سقف الوجود
والمغنون شهود
وإلى النار التي أوقدها الرعيان في الأفق سجود
ـ مدن تولد في المنفى وأخرى تحت قاع البحر أو قاع لياليها تغور
وينام الناس في أسحارها دون قبور
كالعصافير على حائط نور
وأنا أحملهم فوق جبيني من عصور لعصور
أرتدي أسمالهم، أنفخ في ناي الوجود.
ـ نزفت كل جراحاتك حتى الموت في فجر السلالات
وفي عصر الجليد
فلماذا أنت في الكهف وحيد؟

ترسم الثور الخرافي على الجدران بالنار وتلتف بأسمال الشريد
حاملا خصلة شعر الشمس تبكيها، وتبكي المستحيل
حالما عبر الليالي بالرحيل
وبشطآن عصور يولد الإنسان فيها من جديد
- ولماذا أنت في المنفى مع الموت وأوراق الخريف؟
ترتدي أسمالهم، تبعث في كل العصور
باحثا في كُوَمِ القشّ عن الإبرة، محموما، طريد
تاجك الشوك، ونعلاك الجليد
- عبثا تصرخ فالليل طويل
وخطا ساعاته في مدن النمل حريق
كلما نادتك عشتار من القبر ومدت يدها، ذاب الجليد
وانطوت في لحظة كل العصور
وإذا بالليل ينهار وتنهار السدود
وإذا بالميت المدرج في أكفانه يصرخ كالطفل الوليد
بعد أن باركه الكاهن بالخبز وبالماء الطهور
- آه ما أوحش ليلاتي على أسوار آشور مع الموت وأوراق الخريف
وأنا اصعد من عالمها السفلي نحو النور والفجر البعيد
ميتا أبعث في درع الحديد
- أيها الثور الخرافي الذي فوق دخان المدن الكبرى يطير
أيها النور الشهيد

عبثا تصرخ فالعالم في الأشياء والأحجار واللحم يموت
والصبايا والفراشات وبيت العنكبوت
والحضارات تموت
ـ عبثا تمسك خيط النور في كل العصور
باحثا في كُوَمِ القشِّ عن الإبرة، محموما، طريد

من ديوان ((الكتابة على الطين)) ١٩٧٠

كابوس الليل والنهار

تحلم الأرض بميلاد نبي يملأ الآفاق عدلا
تحلم الأرض بميلاد الفصول
وأنا أحمل في الشارع جثة
لأواريها، إذا ما هبط الليل، بمبنى أو حديقة
وبمقهى أو بخمارة نور
مخفيا وجهي عن الله وعنك
خجلا سكران أبكي
وتقول الأغنية
بعد أن عبئَ صوت العندليب
والمغني وهو للشمس يغني في أسطوانة
بعد أن بيعت ودبَّ الشيب في رأس المغني
ودم الوردة فوق الأفق سال
ما الذي كانت تقول الأغنية؟
والعصافير على أرصفة الليل تموت
والنبي المنتظر
نائما ما زال في الغار وما زال المطر
فوق جدران البيوت الهرمة

وسطوح المدن الحبلى وإعلانات سمساري البيوت
بدم يكتب ميلاد وموت الكلمة
وأنا أحمل في الشارع جثة
مخفيا وجهي عن الله وعنك
لِمَ تبكي؟
أيها النهر الخرافي الذي يرضع أثداء المدينة
حاملا أوساخها نحو البحار
والخيول الميتة
وحطام العربات
وأنا أشهد ميلاد النهار
في عيون القطط المحتضرة
بعد أن عبئ صوت العندليب
والمغني وهو للشمس يغني في اسطوانة
كانت الجثة تبكي
وأنا أبحث في الشارع عنك
والتقينا بعد أن مات النهار
ثم جاء الليل من بعد النهار
ونهار آخر بعد النهار
وتدور الأسطوانة
ومغنيها بصوت شرخته السنوات
لاهثا يجري وراء الظلمات
ما الذي كانت تقول الأغنية؟
ما الذي كانت تقول الأغنية؟

من ديوان ((الكتابة على الطين)) ١٩٧٠

كتابة على قبر السياب

أصعد أسوارك، بغداد، وأهوي ميتا في الليل
أمد للبيوت عيني وأشم زهرة المابين
أبكي على الحسين
وسوف أبكيه إلى أن يجمع الله الشتيتين وأن يسقط سور البين
ونلتقي طفلين
نبدأ حيث تبدأ الأشياء
نسقي الفراشات العطاش الماء
نصنع من أوراق كراساتنا حرائق
نهرب للحدائق
نكتب أشعار المحبين على الجدار
نرسم غزلانا وحوريات
يرقصن عاريات
تحت ضياء قمر العراق
نصيح تحت الطاق[1]
بغداد! يا بغداد يا بغداد

---

(١) الطاق: هو إيوان كسرى الواقع بالقرب من بغداد، وقد كنا نذهب إليه ـ ونحن صغار ـ صائحين تحته فيردد صدى ما كنا نقوله

جئناك من منازل الطين ومن مقابر الرماد
نهدم أسوارك بعد الموت
نقتل هذا الليل
بصرخات حبِّنا المصلوب تحت الشمس

من ديوان ((الكتابة على الطين)) ١٩٧٠

عين الشمس

أو تحولات محيي الدين بن عربي في ترجمان الأشواق

- ١ -

أحمل قاسيون
غزالة تعدو وراء القمر الأخضر في الديجور
ووردة أرشق فيها فرس المحبوب
وحملا يثغو وأبجدية
أنظمه قصيدة فترتمي دمشق في ذراعه قلادة من نور
أحمل قاسيون
تفاحة أقضمها
وصورة أضمها
تحت قميص الصوف
أكلم العصفور
وبردى المسحور
فكل اسم شارد ووارد أذكره، عنها أكني واسمها أعني
وكل دار في الضحى أندبها، فدارها أعني
توحد الواحد في الكل

والظل في الظل
وولد العالم من بعدي ومن قبلي

ـ ٢ ـ

كلمني السيد والعاشق والمملوك
والبرق والسحابة
والقطب والمريد
وصاحب الجلالة
أهدى إليّ بعد أن كاشفني غزالة
لكنني أطلقتها تعدو وراء النور في مدائن الأعماق
فاصطادها الأغراب وهي في مراعي الوطن المفقود
فسلخوها قبل أن تذبح أو تموت
وصنعوا من جلدها ربابة ووترا لعود
وها أنا أشده فتورق الأشجار في الليل ويبكي عندليب الريح
وعاشقات بردى المسحور
والسيد المصلوب فوق السور

ـ ٣ ـ

تقودني أعمى إلى منفاي عين الشمس

ـ ٤ ـ

تملكتني مثلما امتلكتها تحت سماء الشرق
وهبتها ووهبتني وردة ونحن في مملكة الرب نصلي في انتظار البرق
لكنها عادت إلى دمشق

مع العصافير ونور الفجر
تاركة مملوكها في النفي
عبدا طروبا أبقا مهيأ للبيع
وميتا وحي
يرسم في دفاتر الماء وفوق الرمل
جبينها الطفل وعينها وومض البرق عبر الليل
وعالما يموت أو يولد قبل صيحة الموت أو الميلاد

ـ ٥ ـ

أيتها الأرض التي تعفنت فيها لحوم الخيل والنساء
وجثث الأفكار
أيتها السنابل العجفاء
هذا أوان الموت والحصاد

ـ ٦ ـ

قريبة دمشق
بعيدة دمشق
من يوقف النزيف في ذاكرة المحكوم بالإعدام قبل الشنق؟
ويرتدي عباءة الوليِّ والشهيد؟
ويصطلي مثلي بنار الشوق؟
أيتها المدينة الصبية
أيتها النبية
أكُتِبَ الفراق والموت علينا، كتب الترحال
في هذه الأرض التي لا ماء لا عشب بها لا نار

غير لحوم الخيل والنساء
وجثث الأفكار

- ٧ -

لا تقترب ممنوع
فهذه الأرض إذا أحببت فيها حكم القانون
عليك بالجنون

- ٨ -

عدتُ الى دمشق بعد الموت
أحمل قاسيون
اعيده اليها
مقبلاً يديها
فهذه الأرض التي تحدّها السماء والصحراء
والبحر والسماء
طاردني امواتها واغلقوا عليَّ باب القبر
وحاصروا دمشق
واوغروا عليَّ صدر صاحب الجلالة
من بعد أنْ كاشفني وذبحوا الغزالة
لكنني افلتُّ من حصارهم وعُدْتُ
احمل قاسيون
تفاحةً اقضمها
وصورة اضمُّها
تحت قميص الصوف
من يوقف النزيف

وكل مانحبه يرحلُ او يموت
ياسفن الصمت ويادفاتر الماء وقبض الريح
موعدنا ولادةٌ أخرى وعصر قادم جديد
يسقط عن وجهي وعن وجهك فيه الظلّ والقناع
وتسقط الأسوار.

من ديوان ((قصائد حب على بوابات العالم السبع)) ١٩٧١.

عن وضاح اليمن والحب والموت

- ١ -

يصعد من مدائن السحر ومن كهوفها وضاح
متوجاً بقمر الموت ونار نيزكٍ يسقط في الصحراء
وريشة حمراء
ينفخها الساحر في الهواء
يكتبُ فيها رقيةً لسيدات مدن الرياح
وكلمات الحجر الساقط في الآبار
ورقصات النار
ينفخها في مجلس الخليفة
فتستحيل تارة قصيدة
وتارة لؤلؤة عذراء
تسقط عند قدمي وضاح
يحملها الى السرير امرأة تضجُّ بالأهواء
تمارس الحبَّ مع الليل وضوء القمر المجنون
تفتحُ عينيها على رماد نيزكٍ يسقط في الصحراء.

وريشة حمراء
يَنفُخها الساحر في الهواء
فتستحيل تارة غزالة
قرونها من ذهب وتارة كاهنة تمارس الغواية
ولعبة النهاية
في حرم الخليفة
وليله المسكون بالأشباح والملالة

ـ ٢ ـ

لم أجد الخلاص في الحب ولكني وجدت ا لله

ـ ٣ ـ

قبلت مولاتي على سجادة النور وغنيت لها موال
وهبتها شمس بخارى وحقول القمح في العراق
وقمر الأطلس والربيع في أرواد
منحتها عرش سليمان ونار الليل في الصحراء
وذهب الأمواج في البحار
طبعت. فوق فمها حبيّ لكل ساحرات العالم النساء
وقبل العشاق
بذرت في أحشائها طفلا من الشعب ومن سلالة العنقاء

ـ ٤ ـ

من أين جاءت هذه الأشباح؟

وأنت في سريرها تنام يا وضاح
لعلها نوافذ القصر، لعل حرس الأسوار
لم يغلقوا الأبواب

ـ ٥ ـ

رأيت في نومي على نهديك نهر الموت
يشق مجراه بلحم الصمت
وكلب صيد ينهش النهدين
وطائر السمان
يبدأ في رحيله عبر مدار غربة الإنسان في العالم والأشياء
ووجه عبد من عبيد القصر
يطل من عيني ومن مرآة هذا الفجر
مقبلا نهديك في نومي رأيت العبد
ممدا وعاريا فوق سرير الورد
مبتسما للغد
من أين جاءت هذه الأشباح
وأنت في سريرها تنام يا وضاح
لعله الواشي الذي أراح واستراح
لعله الخليفة
أطلق في أعقابك العبد وكلب الصيد والكابوس

ـ ٦ ـ

من قبل أن يولد في الكتب
وفي الروايات وفي الأشعار

عطيل كان كائنا موجود
تنهشه عقارب الغيرة يا وضاح
من قبل أن يولد في الكتب
عطيل كان قاتلا سفاح
لكن ديدمونة
في هذه المرة لن تموت
أنت إذن تموت!
أنت إذن تموت!

- ٧ -

عطيل في عمامة الخليفة
يواجه الجمهور
بسيفه المكسور

- ٨ -

لم أجد الخلاص في الحب ولكني وجدت ا لله

- ٩ -

مت على سجادة العشق ولكن لم أمت بالسيف
مت بصندوق وألقيتُ ببئر الليل
مختنقا مات معي السر ومولاتي على سريرها
تداعب الهرة في براءة تطرز الأقمار
في بردة الظلام
تروي إلى الخليفة

حكاية عن مدن السحر وعن كنوزها الدفينة
ويدرك الصباح ديدمونة

من ديوان ((قصائد حب على بوابات العالم السبع))

رسائل إلى الإمام الشافعي

- ١ -

قوارب الصيد وبرتقالة الشمس على الأمواج
محفورة بالنار
وطائر من ذهب يغمس في الموج جناحيه ويهوي ميتا
عبر رمال الشاطئ الحمراء
وطرق موحشة للبؤس فيها مدن تهيم في الليل غراما
ومن الحب نهارا ترتدي قناع
تستر عريها وتبكي في انتظار الليل والنهار
وقفت في أبوابها ملتاع
قال دليلي إنها مدائن الإبداع
فخذ مفاتيحك وافتح كل باب وانتظر في آخر الأبواب
ولتغتصب بوردة الحب نهار العالم النائم في الأعماق
ولا تبحِ بالسر فالرياض في ((شيراز))
مغسولةً باللازورد ودم العشاق
والفجر في أعماقها مختبئ في عتمة الأوراق
قال دليلي واختفى بين كنوز مدن تذبل في الشمس

وصوت العاشق الفقير في الصحراء
لكنني عرفت اسماء النجوم ورحيل البحر في قوارب الصيد
وأبجدية الضياع
ولغة المطر
وأربعاء النار والرماد
وصرخة العاشق في وحدته مستنجدا بقوة الأشياء

ـ ٢ ـ

قهرت في شبابه الجسد
لكنه كان كنهر هائج مأسور
حطم في اندفاعه السدود والجسور

ـ ٣ ـ

متيم قلبي بكل شيء
بجسد الوردة، باللحم الطري الحي
بالموت والبحر وروح الليل
ومعجزات الفجر

ـ ٤ ـ

يطن قلبي في قفير النحل

ـ ٥ ـ

صرخت في منازل مقفرة دارت بها الرياح
أكلت برتقالة الشمس وفي دمي توضأت وصلّيت إلى الصحراء

عمود نور لاح لي وواحة خضراء
يرتع في قيعانها سرب من الظباء
وعندما فوقت سهمي كي أصيب مقتلا منها ومن بقية الأشباح
توارت الواحة والظباء في السراب
وارتفع النور إلى السماء
واكتنفتني ظلمة وصاح بي صوت من القيعان
أتيت قبل موعد الوليمة
تنتظر الموت لكي تموت
فعد إلى رياض ((شيراز)) وبوابات مستحيلها وانتظر المكتوب
وسقطت دمعة إنسان من الأفق على وجهي وغطت مشهد الغروب
وكلمات الصائح المجهول
والتمعت كنوز ليل العالم النجوم
تكتب أسماء العصافير على لوح من الطين وسنديانة عجوز
تواجه الصحراء والبحر وتبكي كلما مر بها العشاق في أزمنة السقوط
هززتها، فسقطت أوراقها وغمرت مشارف الصحراء بالرموز:
زخارف وكلمات ودم ونور
تحرث أرضاً سحقت جبينها مجاعة السنين
والمطر العقيم

- ٦ -

أتيت قبل موعد الوليمة
وبعد أن تفرق الضيوف

- ٧ -

شطرت برتقالة الشمس إلى نصفين
وهبت نصفها غراب البين
ونصفها الآخر ألقيت به في البحر
فاشتغل البحر ولكن حبيبي لم يعد، لنجمع النصفين

- ٨ -

قبلت شباك ((الحسين))
وغسلت الحجر الأسود بالدموع
نضوت في مواكب العزاء
طفولتي مستنجدا بقوة الأشياء
بفقراء الأرض
ومعجزات الفجر
تهدل النور على الرياض في ((شيراز))
وفتحت أبوابها ورفرفت فراشة زرقاء
تطير فوق سورها وفوق وجه العاشق الفقير
صحا لكي يتبعها لكنها اختفت وراء السور
تاركة وراءها خيط دم يمتد في خمائل الأصيل
ناديتها:
عائشة!
عائشة! لكنها لم تسمع النداء
ولم تر العاشق في جحيمه يزحف نحو النار
منتظرا في آخر الأبواب.

- ٩ -

((رحلتنا تمت)) دليلي قال ((فالإسكندر الكبير
غزا بلاد فارس والهند
لكنه لم يجد الينبوع
فعاد محموما إلى بابل كي يموت
أصابه مس من السحر على تخوم هذا العالم المسحور))
قال دليلي وبكى وخضلت لحيته الدموع
وسقطت فوق زهور الأرض
فأصبحت حمراء قال إنها ((علامة القيامة))
((وشارة الإمامة))

((قصائد حب على بوابات العالم السبع)) ١٩٧١

أحمل موتى وأرحل

ناديت غزالة حبي في الصحراء الليبية ـ في العهد الملكي البائد ـ
كان البوليس ورائي ـ فاجأني البحر الأبيض بالجزر المخبوءة تحت
لسان عروس الماء وتحت عيون الأسطول السادس ـ كنت وحيدا ـ
كان البوليس ورائي ـ والليل الملكي ـ ولارا تسبح في البحر الأسود
ـ في سوجي ـ وخزامى في إربد ـ في ضوء بنادق حرب التحرير
الشعبية للأرض الحبلى بالثورة ترنو وتصلي ـ فاجأني البحر
الأبيض ـ كنت وحيدا ـ أبحث في الصحراء الليبية عن مفتاح
المدن المنسية في خارطة الدنيا ـ لارا تنشر في الريح ضفائرها ـ
ترقص في الغابات الوثنية ـ تمضي عائدة للفندق بعد عناق البحر ـ
وفي منتصف الليل عشيق آخر ينسل إليها.

ويعريها
ويقبل عينيها
ويقبل نهديها
ويقول لها نفس الكلمات
وتقول له نفس الكلمات:
(أحبك)
لارا ـ هي والآخر

كانت تبكي، فالبحر سيأخذ منها الآخر
كانت تبكي ويدي تمتد إليها ويد الآخر
وفمي في فمها وفم الآخر
ودمي ودم الآخر
وحياتي وحياة الآخر
كنت وحيدا ـ يا حبي المدفون بقاع البحر الأسود
يا شمس ربيعي في الغابات الوثنية ـ يا حبي
كان البوليس ورائي ـ في الصحراء الليبية ـ
في العهد الملكي البائد ـ في قاع الدنيا
فاجأني البحر الأبيض

ـ ٢ ـ

يحمل العاشق في غربته
موته، تاريخه، عنوانه
وعذابا كامنا في دمه
وحضورا أبديا كانه.

ـ ٣ ـ

يتفرق الأحباب قبل صياح ديك الفجر
في المدن الكبيرة يرحلون ويتركون
ما تترك العربات فوق الثلج: ها هي ذي السماء
زرقاء من بعد الرحيل
والشمس تشرق من جديد فوق أشجار الحدائق والبيوت

ـ ٤ ـ

((لارا)) و ((خزامى))

في صحراء الليل الوثنية أشعلتا النار.

ـ ٥ ـ

((لارا)) رحلت بعد رحيلي
ضاعت في زحمة هذا العالم
في غابات البحر الأسود والأورال
عادت للأرض المسحورة تذرعها
في قداس رحيل الأمطار
و ((خزامى)) نذرت للبحر ضفائرها
ولنجم الميلاد
وأنا حطمت حياتي
في كل منافي العالم
بحثا عن لارا وخزامى
وعبدت النار
مارست السحر الأسود في مدن ماتت
قبل التاريخ وقبل الطوفان
واستبدلت قناعي بقناع الشيطان
ظهرت لي لارا وخزامى في موسيقى الأشعار
في حرف السين وحرف الهاء وحرف التاء

ـ ٦ ـ

برحيلي رحلت كل الأشياء

من ديوان ((كتاب البحر))

الزلزال

إلى الشاعر عبد اللطيف اللعبي ورفاقه.

ـ ١ ـ

تشرق شمسُ الله في عينيك إذ تغربُ في قوارب
الصيد على شواطئ المغرب
حيث فقراء الأطلس المنتظرون معجزات القمر الولي
في الأضرحة ـ الطلاسم ـ الذبائح ـ النذور، حيث
النسوةُ المكفّناتُ بسواد الخرق ـ الأطمار
حيث الشاعر الأندلسيُّ يرتدي عباءة الريح
يطير حاملا قيثارة فوق جبال النوم
فوق المدن المفتوحة، المقطوعة الأثداء، حيث
القمر الوليُّ في عيون قارعي طبول الملك الأخير
في ((قرطبة)) يغيب في البحر،
أراك: تدخلين ملجأ الأيتام
تحملين عصفورا ووردتين من حدائق ((الحمراء))
تبكين على سريرك البارد في منتصف الليل
وفي الصباح من شرفة ((أفريقيا))

تطلين على عريك من زاوية المقهى
أراك ـ وأنا أحمل من منفى إلى منفى
تراب الوطن ـ القصائد المنوعة ـ الجرائد السرية ـ النار؟
أراك : تعبرين السوق والبوليس في المحضر
في مخافر الحدود محموما يغطي بالدبابيس وبالشمع
وجوه فقراء الأطلس ـ الخرائط ـ الذبائح ـ الأضرحة ـ النذور
حيث الشاعر الأندلسيُّ في سجون العالم الجديد
في زنزانة الخليفة الأخير في ((قرطبة)) يموت.

ـ ٢ ـ

توقفت عائشة، فالباص لا يذهب في الليل
إلى كوبا، ولا يعود.

ـ ٣ ـ

كل الدروب أصبحت بعيدة، لكنها مشمسة تلوح من بعيد.

ـ ٤ ـ

قال أعود ـ غارسيا لوركا ـ إذا ما انتصف الليل
وفي الوادي الكبير نامت الزهور.

ـ ٥ ـ

العاشق الأندلسي عصبوا عيونه وقتلوه
قبل أن ينتصف الليل وقبل أن يصيح الديك.

ـ ٦ ـ

قالت رأيت الملك الأخير في ((قرطبة)) كان
بسيف الخشب المكسور فوق عرشه متكئا
مكتئبا يهتز مثل ريشة في الريح
كان حوله السياف والشاعر والمنجم المخصيّ
في بلورةٍ محدقا يقول مولاي
أرى سحابة حمراء فوق هذه المدينة المفتوحة
المقطوعة الأثداء، مولاي أرى نسرا عظيما
جاثما فوقك ـ مولاي أرى الحريق في كل مكان
وجواري القصر والغلمان بالسمِّ يموتون، أراك
عاريا أعمى على قارعة الطريق في ((قرطبة)) تشحذ
قالت عندها أومأ للسياف أن يقطع
رأس الشاعر ـ النديم.
مرت ليلة.
وفي الصباح أُحرق المنجم المخصيُّ بالتنور
((مولاي)) انتهت
فالباص لا يذهب في الليل إلى كوبا ولا يعود
والجرائد الصفراء لا تحجب وجه فقراء الأطلس
المنتظرين معجزات القمر الوليّ.
قالت، وبكت : في ملجأ الأيتام
كنا نخدع البوليس في منتصف الليل
ونمضي حاملين الصحف السرية ـ القصائد الممنوعة ـ النار
إلى الأضرحة ـ الطلاسم ـ الذبائح ـ النذور

حيث النسوة المكفنات بسواد الخرق ـ الأطمار
حيث الشاعر الأندلسي يرتدي عباءة الريح
ويبكي حبه الضائع في ((قرطبة))
رأيت عصفورا ووردتين من حدائق ((الحمراء)) في شعرك
كان ((اللعبي)) يعبر الشارع
من منفى إلى سجن ومن سجن إلى منفى
تقولين، أنا أقول أيضا: ((إنه الزلزال))
في ((الأطلس)) في كوبا رقصنا
عندما أمطرت السماء
قال ضاحكا ((ألبرت)): من أين يجيء النوم
والبحر ولي عاشق
يحمل في سلته المحار والأسماك واللؤلؤ
هل عاد من الغابات ((جيفارا))؟
رقصنا عندما أمطرت السماء والبحر وليّ كان
يبكي حبه الضائع في المغرب. قالت وتقولين
أنا أقول أيضا:
إنه الخليفة الأخير في ((قرطبة)) يموت

من ديوان ((سيرة ذاتية لسارق النار)) ١٩٧٤

السمفونية الغجرية

ـ ١ ـ

كان المغني الغجري يرشق العذراء بالوردة
والعذراء مثل ريشة تدور حول نفسها
تحاول اللحاق بالليل الذي كان على مشارف ((الحمراء))
مقتولا تغطي صدره الخناجر ـ الزنابق ـ النجوم.
كان الغجري شاحبا يطرد في غنائه الأشباح
كانت يده ترسم في الهواء شارة الغريق ـ العاشق ـ المخدوع
والعذراء مثل ريشة تطير خلف يده الراجفة، الضارعة
((الحمراء)) كان غارقا كعهده بالصمت.
صاح الغجريُّ استيقظي أيتها الأعمدة ـ الهياكل ـ الأقواس
يا مكعّبات النور في قصيدة المستقبل ـ النبوءة ـ الرحيل
صاح استيقظي أيتها الأسطورة ـ القبيلة
العذراء مدّت يدها ليده وعانقتها
رقصا معا وأصبحا لسان لهب
فاشتعلت في شعرها الوردة.
صاح الغجريّ احترقي أيتها الصغيرة الحسناء.

مال رأسها، تلاقت العيون والشفاه
هذا زمن الموت على وسادة الربيع.
مال رأسه فاحتضنته وهو يبكي
يطرد الأشباح في غنائه الصاعد من قرارة
الأسطورة ـ القبيلة
((الحمراء)) كان غارقا كعهده بالصمت والفجر
على أبوابه يرسم أشجارا وقبّرات ليل راحل.
تلاقت العيون والشفاه
صاح الغجريُّ خائفا توقفي أيتها الريشة في
مدار هذي اللعبة ـ الفاجعة.
العذراء دارت دورتين
وقفت
تحاول اللحاق بالليل الذي كان على مشارف ((الحمراء))
مقتولا تغطي صدره الخناجر ـ الزنابق ـ النجوم.

ـ ٢ ـ

توقفت هجرة أحزان المغني،
وقع الطائر في الكمين،
مرت عربات الغجر، الليلة، في وحول هذا
الشارع المحاصر، المسكون بالأشباح.
كان الغجريُّ يمسح السكين بالمنديل ثم
يعبر الشارع محشورا مع الأشباح في المقهى
يغني خائفا لنفسه. قارئة الكفِّ له قالت

هناك مدن رائعة أخرى وراء النهر، حيث الشمس
لا تغيب في الليل، ولا يخدع فيها العاشق ـ الغريق
في منتصف النهر، ولا ترحل فيها الريشة، العذراء
صاح اقتربي فإنني رأيت عينيك بأسفار
النجوم ـ الريح،
أجدادي على بوابة الشمس
وفي المدافن السرية ـ الكهوف، كانوا يرسمون
وجهك الغارق بالنور،
وكانوا كلما عاد الربيع احتفلوا بعودة الروح
إلى الطبيعة الميتة
الأشباح غابت واختفى المقهى
وكان الغجريُّ راكعا يبكي،
وكانت يده في يدها
قارئة الكفِّ له قالت: هناك مدن رائعة أخرى
وراء النهر، فارحل
فهنا، الخطوط في كفك، لا تقول شيئا.
طفقت تبكي،
وكان الغجريُّ راكعا يبكي على مكعبات النور
في قصيدة المستقبل ـ النبوءة ـ الرحيل
صاح استيقظي أيتها الأعمدة ـ الأقواس
في وحول هذا الشارع المحاصر، المسكون بالأشباح
كانت يده في يدها صماء، لا تقول شيئا

نهضت قارئة الكف ودارت دورتين،
وقفت
تحاول اللحاق بالليل الذي كان على مشارف ((الحمراء))
مقتولا تغطي صدره الزنابق - الخناجر - النجوم

من ديوان ((سيرة ذاتية لسارق النار)) ١٩٧٤

سيرة ذاتية لسارق النار

ـ ١ ـ

اللغة الصلعاء كانت تضع البيان والبديع
فوق رأسها ((باروكة))
وترتدي الجناس والطباق في أروقة الملوك
في عصر الفضاء ـ السفن الكونية ـ الثورات.
كان شعراء الكدية الخصيان في عواصم الشرق
على البطون، في الأقفاص يزحفون
ينمو القُمَلُ ـ الطحلب في أشعارهم،
وشعراء الحلم المأجور في الأبراج كانوا بالمساحيق
وبالدهان يخفون شحوب ربة الشعر التي تشيخ
فوق قمة ((الأولمب))
كانوا يسرقون غارها الذابل في المتاحف ـ المزابل ـ النصوص
كانوا يجمعون ورق الخريف من مقابر المدارس
الشعرية الدارسة.
الخصيان كانوا يمدحون الخدم ـ الملوك في الأقفاص
كان سارق النار مع الفصول يأتي

حاملا وصية الأزمنة ـ النهار،
يأتي رائيا:
يهجس ـ في سباق خيل البشر الفانين، في توهج الأرض
التي حل بها ـ
بالرجل الشمس، وبالقيثارة المرأة
حُرَّين من الأغلال،
يستبصر أمواج التواريخ وأحزان سلالات
الطيور ـ الحجر ـ الموتى،
على بردية يكتب أسماء أميرات ((بخارى))
حاملا وصية البحر إلى الطفولة ـ المساجد ـ الأسواق.
قال وهو في معطفه الطويل
كالمسلة المصرية ـ النخلة في ((الكونكورد)):
هل دخلتَ من نافذة الفجر إلى قلبي؟
ومن أعطاك حق النوم والترحال والبحث عن
الأسوار في مدينة العشق؟
رأيت وجهه الشاحب في مطار ((باريس))
بكيت عندما ودعني للمرة الأخيرة
الخصيان كانوا يمدحوْن الخدم ـ الملوك في الأقفاص
كان سارق النار على البار،
يغني للعصافير التي أنهكها التجوال في حدائق الثلج،
وكنت متعبا،
أقاوم النوم الذي يهبط من سلالم الليل
مع الدخان والأمطار.
قال نشرب الليلة نخب هذه الأميرة الشاعرة

المنفية.
الأمطار كانت تغسل الأشجار والجراح والسطوح.
موسيقى كمان العازف الروسي في زاوية البار،
رأيت مدن الطفولة البيضاء في ألحانها
وأنهر الجليد والغابات في ((الأورال))
أقسمنا معا بالرجل بالشمس، وبالقيثارة المرأة
والأميرة الحسناء من أعماقها تضحك.
من أعطاك حق البحث في مدينة العشق عن ا لله؟
وعن نافورة تبكي؟
رأيت وجهه الشاحب في قرارة الكأس،
وكانت يده تمرُّ فوق شعرها الأحمر في دوامة الرقص،
وفوق الليل والجليد والدخان

- ٢ -

بحثت من حان إلى حان ومن منفى إلى منفى
عن الوجه الذي يحمله سارق نار الشعر
من معابد الآلهة ـ الإنسان،
عن أميرة المنفى التي كنا وراء شعرها الأحمر
في مدينة الطفولة ـ المعابد ـ الأسواق نجري
لاهثين، نشرب الأنخاب،
والخصيان كانوا يمدحون الخدم ـ الملوك في الأقفاص
ينمو القَمَلُ ـ الطحلب في أشعارهم.
كنا وراء شعرها نروض الخيول في سهوب هذا الشرق.
من أعطاك هذا القمر الأخضر؟

هل دخلت من نافذة الحزن إلى قلبي؟
رأيت سارق النار على كرسيه ينام في زاوية
البار وحيدا.
رحلت، قال: ((فمن سِحرسُ الأنهار
في عرس نهار الموت))؟
((من بالغضب الشعري في النهر سيلقي))؟
بالمصابيح
عظام الزمن الجديد للأرض، هنا أسمعها، تنمو
جواد النار في ملاحم الإغريق تحت قدمي يجمح
لا اسم له، من كل معنى فارغ، هذا العذاب
((رحلت)) قال فهل ستدهم الصاعقةُ
المسلةَ المصرية ـ النخلة ـ في ((الكونكورد))؟
هل سيهجر الربيع باريس؟
رأيت وجهه الشاحب في قرارة الكأس
وفي المرآة
كان ميتا، يبدو كمن عاد إلى الحان من القبر لكي
نرحل في الفجر معا على ظهور الخيل في سهوب هذا الشرق
هل ناديتني يا أيها الرعد؟
بخارى أصبحت قريبة،
فلتحمل القبلة الكواكب الآفلة ـ الأقمار
في الفجر لكي تلقي بها من قمم الصخور للنوارس
الأمطار كانت تغسل الأشجار والجراح والسطور
موسيقى كمان العازف الروسي في زاوية البار
رأيت مدن الطفولة البيضاء في ألحانها،

وأنهر الجليد والغابات في ((الأورال))
أقسمنا معا بالرجل الشمس، وبالقيثارة المرأة.
هل تحققت معجزة الحياة بعد الموت؟
هل ناديتني يا أيها الرعد؟
أرى عاصفة شعرية تجتاح هذا الكوكب الموغل
بالإرهاب والعنف.
أرى الشاعر في صيحته يحرث أرض الحلم
هل ناديتني؟
((سأطرد المنطق من حظيرتي))
مسافرا في النار والأقوال
في عرس نهار الحب،
منقضا على فريستي: القصيدة ـ المرأة،
كالمنجم ـ الساحر في مدينة العشق
رأيت وجهه الشاحب بعد الموت يفتر
عن ابتسامة وشعرها الأحمر كالشلال
ينثال من السماء

من ديوان ((سيرة ذاتية لسارق النار)) ١٩٧٤

قراءة في كتاب الطواسين للحلاج

أصرخ في ليل القارات الست، أقرِّب وجهي من سور الصين ، وفي نهر النيل أموت غريقا ، كل متون الأهرامات معي ، ومراثي المعبودات، أموت وأطفو منتظرا دقات الساعات الرملية في برج الليل المائل، أبني وطنا للشعر، أقرِّب وجهي من وجه البنّاء الأعظم، أسقط في فخ الكلمات المنصوبة، يبنى حولي سور، يعلو السور ويعلو: كتب ووصايا تلتفُّ حبالا ، أصرخ مذعورا في أسفل قاعدة السور. لماذا يا أبتي أنفى في هذا الملكوت؟ لماذا تأكل لحمي قطط الليل الحجري الضارب في هذا النصف المظلم من كوكبنا؟ ولماذا صمت البحر؟ الإنسان المفعم موتا في هذا المنفى؟ هذا عصر شهود الزور؟ وهذا عصر مسلات ملوك البدو الخصيان. أقرِّب وجهي من وطن الشعر، أرى آلاف التعساء المنبوذين وراء الأسوار الحجرية. في منتصف الليل يغيب النجم القطبي وينبح كلبٌ قمر الموت. لماذا يا أبتي صمت الإنسان؟

- ٢ -

من تحت مسلات طغاة العالم
من تحت رماد الأزمان

من خلف القضبان
أصرخ في ليل القارات، أقدم حبي قربان
للوحش الرابض في كل الأبواب

ـ ٣ ـ

أجيال وقوافل
أمم وممالك
أهلكها الطوفان

ـ ٤ ـ

واحدة بعد الأخرى، ترتفع الأيدي في وجه الطغيان
لكن سيوف السلطان
تقطعها، واحدة بعد الأخرى، في كل مكان

ـ ٥ ـ

فلماذا، يا أبتي، لم ترفع يدك السمحاء؟

ـ ٦ ـ

ثورات الفقراء
يسرقها، في كل الأزمان، لصوص الثورات

ـ ٧ ـ

((زاباتا)) كان مثالا ومئات الأسماء الأخرى
في قاموس القديسين الشهداء
فلماذا، يا أبتي صلب الحلاج؟

- ٩ -

في أحواض الزهر وفي غابات طفولة حبي، كان الحلاج رفيقي في كل الأسفار، وكنا نقتسم الخبز ونكتب أشعارا عن رؤيا الفقراء المنبوذين جياعا في ملكوت البنّاء الأعظم، عن سرٍّ تمرد هذا الإنسان المتحرّق شوقا للنور، المحني الرأس إلى السلطان الجائر. كان الحلاج يعود مريضا وينام سنينا ويموت كثيرا ويهزُّ القضبان الحجرية في كل سجون العالم . قال الحلاج: ((وداعا)) فاختفت الأحواض. وداعا! غابات طفولة حبي، سيصير الماء دموعا والموت رحيلا في هذا المنفى. هذا عصر شهود الزور، وهذا عصر مسلات الملوك البدو الخصيان - الدول الكبرى - الجنرالات - الآلات. لماذا يا أبتي لم ترفع يدك السمحاء بوجه الشر القادم من كل الأبواب؟ لماذا تنفى الكلمات؟ يصير الحب عذابا؟ والصمت عذابا؟ في هذا المنفى؟ وتصير الكلمات طوق نجاة للغرقى في هذا اليمِّ المسكون بفوضى الأشياء؟

- ١٠ -

كل الفقراء اجتمعوا حول الحلاج وحول النار
في هذا الليل المسكون بحمى شيء ما، قد يأتي أو لا يأتي
من خلف الأسوار

من ديوان ((قمر شيراز))

أولد

وأحترق بحبي

- ١ -

تستيقظ ((لارا)) في ذاكرتي: قطا تتريا، يتربص بي، يتمطى، يتثاءب، يخدش وجهي المحموم ويحرمني النوم. أراها في قاع جحيم المدن القطبية تشنقني بضفائرها وتعلقني مثل الأرنب فوق الحائط مشدودا في خيط دموعي. أصرخ: ((لارا)) فتجيب الريح المذعورة: ((لارا))، أعدو خلف الريح وخلف قطارات الليل واسأل عاملة المقهى. لا يدري أحد. أمضي تحت الثلج وحيدا، أبكي حبي العاثر

في كل مقاهي العالم والحانات.

- ٢ -

في لوحات ((اللوفر)) والأيقونات

في أحزان عيون الملكات

في سحر المعبودات

كانت ((لارا)) تثوي تحت قناع الموت الذهبيّ وتحت شعاع

النور الغارق في اللوحات
تدعوني، فأقرِّب وجهي منها، محموما أبكي
لكن يدا تمتد، فتمسح كل اللوحات وتخفي كل الأيقونات
تاركة فوق قناع الموت الذهبيّ بصيصا من نورٍ لنهارٍ مات.

ـ ٣ ـ

((لارا! رحلت))
((لارا! انتحرت))
قال البواب وقالت جارتها، وانخرطت ببكاء حار
قالت أخرى: ((لا يدري أحد، حتى الشيطان))

ـ ٤ ـ

أرمي قنبلة تحت قطار الليل المشحون بأوراق خريف
في ذاكرتي، أزحف بين الموتى، أتلمس دربي في
أوحال حقول لم تحرث، أستنجد بالحرس الليلي
لأوقف في ذاكرتي هذا الحب المفترس الأعمى، هذا
النور الأسود، محموما أبكي تحت المطر المتساقط
أطلق في الفجر على نفسي النار

ـ ٥ ـ

منفيا في ذاكرتي
محبوسا في الكلمات
أشرد تحت الأمطار
أصرخ: ((لارا!))

فتجيب الريح المذعورة: ((لارا !))

- ٦ -

في قصر الحمراء
في غرفات حريم الملك الشقراوات
اسمع عودا شرقيا وبكاء غزال
أدنو مبهورا من هالات الحرف العربي المضفور بآلاف الأزهار
أسمع آهات
كانت ((لارا)) تحت الأقمار السبعة والنور الوهاج
تدعوني فأقرِّب وجهي منها، محموما أبكي، لكن يدا
تمتد فتقذفني في بئر الظلماتْ
تاركة فوق السجادة قيثاري وبصيصا من نورٍ لنهارٍ مات.

- ٧ -

((لم تترك عنوانا)) قال مدير المسرح وهو يمطُّ الكلمات

- ٨ -

تسقط في غابات البحر الأسود أوراق الأشجار
تنطفئ الأضواء ويرتحل العشاق
وأظل أنا وحدي، أبحث عنها، محموما أبكي تحت الأمطار

- ٩ -

أصرخ: ((لارا !)) فتجيب الريح المذعورة: ((لارا)) في كوخ الصياد

- ١٠ -

أرسم صورتها فوق الثلج، فيشتعل اللون الأخضر في عينيها العسلي الداكن، يدنو فمها الكرزي الدافئ من وجهي، تلتحم الأيدي بعناق أبدي، لكن يدا تمتد، فتمسح صورتها، تاركة فوق اللون المقتول بصيصا من نورٍ لنهارٍ مات.

- ١١ -

شمس حياتي غابت. لا يدري أحد. الحب وجود أعمى ووحيد. ما من أحد يعرف في هذا المنفى أحدا. الكل وحيد. قلب العالم من حجر في هذا المنفى - الملكوت

٢٦- ١٠- ١٩٧٤

من ديوان ((قمر شيراز))

قمر شيراز

ـ ١ـ

أجرح قلبي، أسقي من دمه شعري، تتألق جوهرة في قاع النهر الإنساني، تطير فراشات حمر، تولد من شعري، امرأة حاملة قمرا شيرازيا في سنبلة من ذهب مضفورا، يتوهج في عينيها عسل الغابات وحزن النار الأبدية، تنبت أجنحة في الليل لها، فتطير، لتوقظ شمسا نائمة في حبات العرق المتلألئ فوق جبين العاشق، في حزن الألوان المخبوءة في اللوحات: امرأة حاملة قمرا شيرازيا، في الليل تطير، تحاصر نومي، تجرح قلبي، تسقي من دمه شعري، أتعبد فيها: فأرى مدناً غارقة في قاع النهر النابع من عينيها، يتوهج سحر عسلي يقتل من يدنو أو يرنو أو يسبح ضد التيار. أرى كل نساء العالم في واحدة تولد من شعري. أتملكها، أسكن فيها، أعبدها، اصرخ في وجه الليل ولكن جناحي يتكسر فوق الألوان المخبوءة في اللوحات.

ـ ٢ـ

مجنونا بالنهر النابع من عينيها
بالعسل الناري المتوهج في نهر النار

أسبح ضد التيار
أكتب تاريخ الأنهار
أبدأه بطيور الحب وبالنهر الذهبيٍّ الأشجار

- ٤ -

بدمي يغتسل العشاق
وبشعري يبني الغرباء
في المنفى ((شيران))

- ٥ -

أتملكها، اسكن فيها
أعبدها
أرسم في ريشتها مدنا فاضلة يتعبد فيها الشعراء

- ٦ -

مجنونا بالنهر النابع من عينيها
بالسيل الجامح والفيضان
باللهب المفترس الجوعان
أسبح من غير وصول للشاطئ، أغرق سكران

- ٧ -

أفرد أجنحتي وأطير إليها في منتصف الليل، أراها نائمة تحلم بالقمر الشيرازي الأخضر فوق البوابات الحجرية يبكي ، يتدلى من أغصان حديقتها ويظل وحيدا يتعبد فيها. ما كان يكون. حياتي كانت في الأرض غيابا وحضورا تملؤه الوحشة والترحال وأشباح

الموتى. كوني أيتها المشربة الوجنة بالتوت الأحمر والورد الجبلي الأبيض. زادي في هذي الرحلة، كوني آخر منفى وطن، أعبده، أسكن فيه وأموت.

- ٨ -

قولي للحب ((نعم)) أو قولي ((لا))

- ٩ -

قولي ((ارحل!)) فسأرحل في الحال
قولي ((أهواك))
أو قولي ((لا أهواك))

- ١٠ -

قنديلا ذهب عيناك
ويداك شراعان

- ١١ -

أخفي فاجعة تحت قناع الكلمات، أقول لجرحي
((لا تبرأ)) ولحزني ((لا تبرد)) وأقول ((اغتسلوا بدمي))
للعشاق

- ١٢ -

تلتهم النارُ النارَ وتخبو أحزان العشاق الرحل في صحراء الحب وتبقى ((شيران)) ونبقى نرحل في الليل إليها محترقين بنار الحزن

الأبدية، تنبت أجنحة في الفجر لنا، فنطـير، ولكنـا قبـل وصـول الركب إليـها، نتملكها، نسكن فيـها، ونعود

- ١٣ -

وجدوني عند ينابيع النور قتيلا، وفمي بالتوت الأحمر والورد الجبلي الأبيض مصبوغا وجناحي مغروسا في النور

من ديوان ((قمر شيراز))

حب تحت المطر

- ١ -

((واترلو)) كان البدء، وكل جسور العالم كانت تمتد لواترلو، لتعانقه، لترى مغتربين التقيا تحت عمود النور، ابتسما، وقفا وأشارا لوميض البرق وقصف السحب الرعدية. عادا ينتظران، ابتسما، قالت عيناها: ((من أنت؟)) أجاب: ((أنا/ لا أدري)) وبكى، اقتربت منه، وضعت يدها في يده، سارا تحت المطر المتساقط، حتى الفجر، وكانت كالطفل تغني، تقفز من فوق البرك المائية، تعدو هاربة وتعود. شوارع لندن كانت تتنهد في عمق والفجر على الأرصفة المبتلة في عينيها، يتخفى في أوراق الأشجار. أجاب: ((أنا، لا أدري)) وبكى. قالت: ((سأراك غدا)) عانقها، قبل عينيها تحت المطر المتساقط. كانت كجليد الليل تذوب حنانا تحت القبلات

- ٢ -

عانقها ثانية وافترقا تحت سماء الفجر العارية السوداء

- ٣ -

كانت تبكي في داخله سنوات طفولته الضائعة العجفاء

- ٤ -

كان يراها في الحلم كثيرا منذ سنين. كانت صورتها تهرب منه إذا ما استيقظ أو ناداها في الحلم. وكان بحمي العاشق يبحث عنها في كل مكان. كان يراها في كل عيون نساء المدن الأرضية، بالأزهار مغطاة وبأوراق الليمون الضارب للحمرة، تعدو حافية تحت الأمطار، تشير إليه: ((تعال ورائي)) يركض مجنونا، يبكي سنوات المنفى وعذاب البحث الخائب عنها والترحال

- ٥ -

كانت تنشب في داخله معركة بين المعبودات:
واحدة ماتت قبل الحب وأخرى بعد الحب وأخرى في
المابين وأخرى تحت الأنقاض

- ٦ -

ثورة موتى كانت زلزال

- ٧ -

و((تعال ورائي)) ظلت في لحم السنوات العاري
ودم الحب المغتال
جرحا لا يشفى وحنينا قتال

- ٨ -

كان يراها في كل الأسفار
في كل المدن الأرضية بين الناس

ويناديها في كل الأسماء

- ٩ -

كانت تتخفى في أوراق الليمون وأزهار التفاح

- ١٠ -

((واترلو)) كان البدء وكل جسور العالم كانت تمتد لواترلو،
تسعى للقاء الغرباء

- ١١ -

تحت عمود النور التقيا، ابتسما، وقفا وأشارا
لوميض البرق وقصف السحب الرعدية، كانا يعتنقان

- ١٢ -

كان يمارس سحرا أسود في داخله: ((تأتي أو لا تأتي؟ من
يدري؟)) مجنونا كان

- ١٣ -

كانت في يده دمية شمع يغرز فيها دبوسا من نار
((حبيني))قال لها، واتقدت عيناه
بشرارة حزن يصعد من قلب المأساة

- ١٤ -

شاحبة كالوردة تحت عمود النـور رآهـا. جـاءت قبـل الموعـد.
كانت في معطفها المطري الأزرق. قبلها مـن فمهـا. سـارا. قـالت:

(فلنسرع!)) ضحكا دخلا بارا، طلبا كأسين. اقتربت منه،
ضعت يدها في يده. قالت عيناه لها: ((حبيني)) غرقا في حلم.
رآها ورأته. في أرض الحلم. أراها صورته بلباس البدو الرحل.
الت:

((من أنت؟))
أجاب: ((أنا لا أدري)) وبكى. كانت صحراء حمراء
تمتدُّ وتمتد إلى ما شاء الله
لتغطي خارطة الأشياء

- ١٥ -

عانقها، قبل عينيها. لندن كانت تتنهد في عمق
والفجر على الأرصفة المبتلة في عينيها يتخفى في أوراق الأشجار

- ١٦ -

((عائشة اسمي)) قالت: ((وأبي ملكا أسطوريا كان
يحكم مملكة دمرها زلزال في الألف الثالث قبل الميلاد)).

٢-١٢-١٩٧٤

من ديوان ((قمر شيراز))

مقاطع من عذابات
فريد الدين العطار

ـ ١ ـ

بادرني بالسكر وقال: أنا الخمر وأنت الساقي، فلتصبح ياأنت أنا محبوبي، يرهن خرقته للخمر ويبكي مجنونا بالعشق، عراه غبار، قلبي من فرط الاسفار إليك ومنك، فناولني الخمر ووسدني تحت الكرمة مجنونا ولتبحث عن ياقوت فمي تحت الأفلاك السبعة، ولتشعل بالقبلات الظمأى في لحم الأرض حريقا. مرآة لي كنت، فصرت أنا المرآة، أعريك أمامي وأرى عريي، أبحث في سكري عنك وفي صحوي، ما دامت أقداح الساقي تتحدث دون لسان. يا روح عناصر هذا العالم، يا أضواء الليل الفضية والزرقاء ها أنذا أسجد في الحضرة سكران ضيفا لمليكة هذا الليل المسكون بروح الصهباء أهذي والخمر معي تهذي، قيثار العشق، أعريك أمامي في ألحان ما كنت أبوح بحبي، لو لم تسكب هذي الغابات الملكية خضرتها في الماء.

ـ ٢ ـ

ما في الجبة إلا الإنسان

ـ ٣ ـ

مرآة لي كنت ، فصرت أنا المرآة

ـ ٤ ـ

أعقر ناقة هذا الليل الصحراوي الأسيان، وأهذي بجوار الدنّ المجروح أقول: سيأتي عصر أو زمن يصبح فيه الإنسان سديما لأخيه الإنسان (ومليكا للأفلاك...) السبعة، يرهن خرقته للخمر

ويبكي مجنونا بالعشق، وتنهض عائشة من تحت الأعشاب البرية والأحجار السوداء غزالا ذهبيا تعدو وأنا أتبعها تحت الكرمة مجنونا، أمسكها وأعريها وارى عريي. مرآة لي كنت، فصرت أنا المرآة. أقول: سيأتي! لكن الريح وراء الأبواب تراقص أجساد الأشجار العارية الصفراء

وتلقي بمصابيح الشعراء

في قاع الآبار

ماكنت أعرِّي جرحي في الحضرة لو لم أفقد عائشة في حان الأقدار

ما كنت أبوح بسري للنجم الثاقب لولاك

لا غالب إلا الخمار، فناولني الخمر ووسِّدْني تحت الكرمة مجنونا

ولتبحث عن ياقوت فمي تحت الأفلاك

ـ ٥ ـ

حولك في النوم أطوف وأسقط في كابوس الصحو الملتاث

ـ ٦ ـ

لن أهزم حتى آخر بيت أكتبه، فلنشرب في قبة هذا الليل الزرقاء

حتى يدركنا الليل الأبدي ونغفو في بطن الغبراء

- ٧ -

سأموت أنا وتموتين
فلماذا. . في أعراس الدنيا تبكين؟
وتدورين؟
يا قرة عين الساقي المجنون

- ٨ -

سفر لاحدَّ له وسباق قذر في حلبات الدنيا، والدنيا رغم بريق نجوم الليل، سحاب يركض مهزوما، يسقط من شرفات هواها اللصُّ الفاتك والعبد المملوك. لماذا نرحل إن كنا قد جئنا؟ ولماذا قبل قطاف الورد نموت؟ لماذا في أعراس طفولتنا نبكي ونلفُّ بخوف وندور؟ ناولني الخمر ووسدني تحت الكرمة مجنونا، فالموت الحيّ المتربص في الحانات وفي الأسواق وفي عيني هذا الساقي يغمد في صدري سكينا، أصرخ، لكني من فرط الأسفار إليك ومنك، أسائل في سكري عنك وفي صحوي. فلتصبح ياأنت أنا محبوبي، يرهن خرقته للخمر ويبكي مجنونا بالعشق.

- ٩ -

مرآة لي كنت، فصرت أنا المرآة

- ١٠ -

لا غالب إلا الخمار

من ديوان ((مملكة السنبلة)) ١٩٧٩

دم الشاعر

ـ ١ ـ

صوت الشاعر فوق نحيب الكورس يعلو، منفردا، منحازا ضد الموت وضد تعاسات البشر الفانين، بنار سعادته السوداء يجوب العالم، منفيا يتطهر، لا اسم له، وله كل الأسماء، بقانون أزلي يتحول، يقتل هذي الوحشة، يقضي بالشعر عليها، كم هو شرير أن يسكنك الشعر: ((إلهي،بين يديك أنا قوس، فاكسرني))، ومحب محبوب،فاهجرني، كم هو شرير هذا الحب القاسي، لا اسم له،وله كل الأسماء، فتيا كالريح على أبواب المدن المسحورة يأتي أو لا يأتي كرماد حريق يتوهج في قلب الشاعر منطفئا أو مشتعلا، يولد مبتورا أو مكتملا ينمو في أدغال النفس الوحشية طفلا يحبو في أصقاع النور، ليشعل نار الإبداع.

ـ ٢ ـ

كم هو شرير أن يسكنك الشعر ويعلو صوتك فوق
نحيب الكورس، منفردا، يأخذ بالألباب.

- ٣ -

ينخر سوس الكلمات
الكتب الصفراء
فعلام الضجة في سوق الوراقين ، علام يزايد هذا الوزان؟

- ٤ -

وزنتك يا وزان الشعر ، فكنت خفيفا في الميزان(*)

- ٥ -

نائيةٌ تلك الأرض، ربيع يزهر فيها وهو مريض، يجبر أن يتفجر موسيقى وزهورا حمراء وأمطارا، وعليها يتأوه تحت ضياء المصباح الزيتي وتحت الأيقونات،وحيدا مهجورا عمر الخيام، وعائشة تبحث عن وجهي في مرآة الزمن المكسور معلقة رأسي فوق خيام قبيلتها نذرا للطير، ربيع شهواني أسود في عينيها يدعوني وأنا في القرن العشرين، بنار صواعق حبي أدعوها، كمجوسي يهذي في أعياد الجسد الأرضية تحت الأقمار السبعة، في بار إغريقي، أدفن وجهي في نار ضفائرها الحمراء وأرقص حتى الفجر، أقول سلاما للنار
(ولكن النار)
تأخذ شكل العنقاء، وتصبح عائشة في الفجر رمادا
وتطير إلى أرض أخرى، بين يديك أنا قوس، فاكسرني،
ومحب محبوب، فاهجرني، كم هو شرير هذا الحب

(*) عن سان جون بيرس.

القاسي، لا اسم له، وله كل الأسماء.

- ٦ -

رجل بالموت مضاء، قلق، تحبسه أعمدة ووهاد وجسور، يركع في منتصف الليل أمام العنقاء. هنالك عاصفة تعوي وتزمجر عبر البار الإغريقي.

- علينا أن نسرع

- فات الوقت

- لا؟

- ماذا تكتب أنت الآن؟

- معذرة لا أكتب شيئا، بل لم أكتب منذ انتحرت عائشة أو رحلت، فالموت فراق، والعكس صحيح أيضا، والشاعر إنسان مثلي أو مثلك، لا تاريخ له، إلا تاريخ الروح.

يمد الرجل المسكون بضوء الموت يدا لصديقته ويسر لها شيئا، يضحك. تبكي. عائشة في المرآة بنار ضفائرها الحمراء

ترقص حتى الفجر، تقول سلاما، للنار

- ٧ -

ما بين الشاعر والكومبارس

هذا الباب المغلق والمتراس

- ٨ -

بدم الشاعر، هذا الحب القاسي، يكتب تاريخ الروح

من ديوان ((مملكة السنبلة))

قداس جنائزي إلى نيويورك

- ١ -

وحش حجري يتربع فوق الفولاذ المسنون، بعين واحدة يرنو لليل المثقوب بطلقات رصاص، ينفث في وجه الفجر دخانا، ينشب في لحم الساعات مخالبه، يتمطى فوق رغاء الأصوات المسحوقة ، تغلي في داخله أوساخ الطوفان البشري المهزوم، بعين أعماها النور يحدق في طقس الروتين اليومي، وجدول أعمال النمل، وفوق قناني الخمر الفارغة السوداء.

يتناوم سكران

تملؤه أحلام اليقظة، منتفخا، جوعان

- ٢ -

كانت في صندوق قمامة ليل تثقبه صيحات الأطفال

تبحث عن حكماء اليونان السبعة أو نجم الميلاد

((اقتربي مني!))قال لها ، مكسور القلب ونام

- ٣ -

موسيقى تعلن عن ((عامورة))في القرن العشرين

و((سادوم))
المجهول المعلوم
للأجساد البشرية في علب الليل المهزوم

ـ ٤ ـ

في FIFTH AVENUE ينطفىء النور

ـ ٥ ـ

TELL ME WHAT WAS THAT

ـ ٦ ـ

في نقطة ضوء ((والت ويتمن))
يبحث عن أمريكا في أمريكا
من يبكى بين مخالب هذا الوحش الضاري ، من؟

ـ ٧ ـ

الأبيض والأسود
الأحمر والأصفر
طفح جلدي ودمامل فوق جبين الوجع الأكبر

ـ ٨ ـ

جنرالات وملوك مأجورون
من كل القارات، برسم البيع ، هنا في أفلام
الجنس الممنوع وفي إعلانات الصابون

- ٩ -

ادفع دولارا ، تقتل إنسانا ، باسم القانون

- ١٠ -

لمغني الشارع في ((هارلم))
وجه عجوز، خشبي، محزوز، نائم
تحت رماد الصيف الزنجي الراحل

- ١١ -

سيدتي، تبحث عني، وأنا أبحث عنها في الطوفان
ضلت قدمي في أبراج الفولاذ المسنون وضاع العنوان

- ١٢ -

الحب دخان

- ١٣ -

تذرف دمعا فسفوريا ، عين الوحش الرابض قرب البحر،
يعد نقودَ الصرافين ويقرأ طالعه في سفر الرؤيا
إعصار دموي يطفو فوق الكرة الأرضية، مصحوبا بالهزات
وبالرعد، فيصبح هذا الليل نهارا والأسود أبيض
والأصفر أحمر
والأبيض أسود
وطيور من نار وحديد ، تستأصل هذا الوجع الأكبر

- ١٤ -

أرثي للطوفان البشري المهزوم وكهان الهيكل

٩- ٣- ١٩٧٧

من ديوان ((مملكة السنبلة)) ١٩٧٩

صورة للسهروردي في شبابه

- ١ -

لو كان البحر مدادا للكلمات لصاح الشاعر: يا ربي، نَفَدَ البحر وما زلت على شاطئه أحبو. الشيب علا رأسي وأنا ما زلت صبيا لم أبدأ بعد طوافي ورحيلي، فإذا احترق الخيام بنار الحب واصبح في حان الأقدار حجابا، فأنا حول النار فراش ما زلت أحوم وأفني ليلي سكرا، أتأمل وجه القمر الفضي الأزرق في صحراء الحب يغيب، ليترك في اقداح العشاق رمادا، كنت احبك حتى الموت، فأين مضى حبك؟ واعجبا! قلبي مرتعد كالورقة يسألني: أين مضى ما أوحش هذي الصحراء، ولدنا فيها، أحببناها ورحلنا، عانينا فيها موت الروح، حملناها كبريق ذهبي يتغلب هذا الليل عليه، يموت

كنت أريدك لي وحدي، لكنك كنت لكل العشاق

كنت تخونين الواحد باسم الآخر يا مشروع امرأة ألقيت بها في سل الإهمال.

أتأمل وجه القمر الفضي الأزرق في مرآة الحان

أتأمل وجه العشاق

الشيب علا رأسي وأنا ما زلت صبيا لم أبدأ بعد طوافي ورحيلي في الكلمات

فإذا نحر الحلاج وأصبح في تاريخ العشق شهيدا، فأنـا لم أبـدأ عرس دمي حتى الآن

- ٢ -

كنت أحبك حتى الموت، فأين مضى حبك؟ واعجبا!

قلبي مرتعدا كالورقة

يسألني: ما أوحش هذي الصحراء

أتوغل فيها مجنونا، بالكلمات

أتأمل وجهي في المرآة

وأقول له: ها نحن معا، فاكتم أمر رحيلي، حتى لا تنهب، يا حادي الأضعان

- ٣ -

بدم القلب، كتبت وأشعلت النار

بهشيم الكلمات

لكني لم أبدأ في إشعال النار بقلبي، حتى الآن

- ٤ -

يسري سم بعروقي، قطرات دمي تصرخ ظامئة وتقول

أحبك أو كنت أحبك، لا أدري الآن

فأنا أخبط في ليل وأموت على قدحي ظمآن

حانات العالم تعرفني ومقاهي أرصفة الفجر الأسيان

- ٥ -

يامن أوقفني ما بين الجسد المشدود كقوس والمطلق
يا من أوقعني في هذا المأزق
حطم هذا الزورق
بصخور شواطئ يمٍّ الليل الأزرق

- ٦ -

أعرفها تلك الشطآن، فمنها أبحر أجدادي للصين وعادوا مبهورين بأنياب التنين، ومنها أقلع عمال البحر لصيد اللؤلؤ في بحر الهند وعادوا، أكثر مما كانوا، فقراء
أعرفها تلك الصحراء المائية ذات الأثداء
وهي تعرِّي سرتها للشمس الحمراء
أعرفها وأراها كل مساء في حان الأقدار
بجواهر زائفة وعيون من خزف تلك الشمطاء
تغوي الساقي، فيخون
ويبوح بسرٍّ شهيد العشق المقتول

- ٧ -

أوقفني في باب الممنوعات
((منها)): قال: ((الكلمات))
((فتعقل في هذا الباب)) وغاب

- ٨ -

ممنوع: أفلاطون

وارسطو والمتنبي وجلال الدين
في هذا الجحر الملعون

- ٩ -

يسقط رأسي مقطوعا في طبق السلطان
وأنا لم أبدأ رحلة عمري حتى الآن

من ديوان ((مملكة السنبلة)) ١٩٧٩

الولادة في مدن لم تولد

أولد في مدن لم تولد
لكني في ليل خريف المدن العربية
- مكسور القلب - أموت
أدفن في غرناطة حبي
وأقول:
((لا غالب إلا الحب))
وأحرق شعري وأموتْ
وعلى أرصفة المنفى
أنهض من بعد الموت
لأولد في مدن لم تولد وأموتْ

١٩٨٦

من ديوان ((بستان عائشة)) ١٩٨٩

إلى يلماز غونيه

رجل وامرأة وقطار في ليل الأناضول
تحت الضوء، تقول المرأة في خوف: ((ما هذا الليل؟))
مدن وقرى وذئاب تعوي جائعة، تحت الثلج
ودخان الأنفاق الملتوية
وسعال الأطفال.
ليل ينذر بالزلزال
قال الرجل النائم في همس: ((الليل هو الليل!))
رجل آخر في أقصى العربة
يكتب تحت الضوء المخنوق رسالة
ويردد أغنية شاعت بعد الحرب الكونية في البلقان
تتحدث عن حب غامض
ونبي شاعر
فتن الناس به/ رجل يغتاب صديقا ويقول:
((هذي الدنيا خائنة ولعوب
تركب ظهر حمار بالمقلوب))
المرأة تبكي في خوف، الرجل الأول يزجرها
ويقول لها: ((ما هذا ؟

الفجر وشيك والغابات تتنفس في عمق
والأرض تعاني أوجاع مخاض))

١٩٨٤

من ديوان ((بستان عائشة)) ١٩٨٩

الوجه

وجهك في المرآة: وجهان
فلا تكذبْ
فإن ا لله
يراك في المرآة

من ديوان ((بستان عائشة)) ١٩٨٩

القصيدة

يتجول في نومي رجل النور
يقف في الركن المهجور
يخرج من ذاكرتي، كلمات
يكتبها
ويعيد كتابتها في صوت مسموع
يمحو بعض سطور
ينظر في مرآة البيت الغارق بالظلمة والنور
يتذكر شيئا
فيغادر نومي
أستيقظ مذعورا
وأحاول أن أتذكر شيئا
مما قال ومما هو مكتوب
عبثا، فالنور
مسح الأوراق وذاكرتي
ببياض الفجر المقتول

١٩٨٥

من ديوان ((بستان عائشة)) ١٩٨٩

المغول

كان المغول على ظهور الصافنات ـ
دُمى يحرك واهيات خيوطها
عصر يموت
غريزة التاريخ
تحت سماء موت الآخرين ـ
عيونهم خرزٌ ملونةٌ
بأعناق السهوب:
مجاعة/ برق/ بكاء الأرض
قبل مخاضها الدامي
وجوه تقرأ الأفق المغشى بالحرائق:
إنها حمى الولادة
إنه الطاعون
حاصر ((قندهار))
وحاصر المدن التي ذكرت
بأسفار اليهود
وشق أرحام السبايا
سمّم الأنهار

حطم سقف هذا الكون
داس بخيله جثث الملوك
أماط عن وجه الطبيعة سرها المكنون
عرّى نطفة الدم الذي يسري بشريان
الوجود /أعاد خلط الماء والأوراق
والنار/ الضحايا والغزاة: عجينة عمياء
تبحث في المرايا
عن وجوه القادمين من السهوب
ليحرثوا بسيوفهم
عطش الحياة وجوعها
وعلى رماد حرائق المدن
التي نزفت دما
هُزِمَ المغول.
١٩٨٨

من ديوان ((بستان عائشة))

صورة جانبية لمدينة ما

مقبرة تعلوها مقبرة، بينهما
الحب / الموت/ البشر الأحياء
والشحاذون وأهل اليسر البخلاء
فإذا ما صحت بأعلى صوتك
عاد الصوت مليئا بلهاث الموتى
وسعال شتاء السنوات
وإذا ما حاولت فرارا
طاردك الباعة والعيارون الشطار
في تلك المقبرة الكبرى
في تلك الطاحونة
في تلك الصحراء
نحرت آلهة الشعر
ومات الشاعر في حانوت الخمار

٢٧- ٥ - ١٩٨٦

من ديوان ((بستان عائشة)) ١٩٨٩

إلى غائب طعمة فرمان

حين يموت المؤلف
قد يأخذ النص بعدا جديدا
ويتحد النهر بالنبع
تصبح كل المنافي وطنا واحدا
تختفي كتلة الثلج تحت ماء البكاء
ويصير اللقاء وداعا
وفضاء الكتابة سقط متاع
وكان سباق المسافات ما بيننا أملا
للوصول إلى مدن العشق
لكننا لم نصل
كل ما كان ضاع
بماذا سأبدأ؟
ها أنت ذا ترتدي معطف المطر/ الاحتراق
وها أنت تكتشف، الآن،
بعد فوات الأوان
بأن الدروب لروما لا تؤدي إليها
وإن الكتابة قاتلة الشعراء

وكيف السبيل إليها؟
أنبدأ في البحث ثانية؟
ونموت انتظار؟
لشاهدة القبر أم للثريا
قطعنا الفيافي وجبنا البحار؟
بأية عين رأتك المنافي
وأنت تصارع موت النهار؟
أكنا شهودا نراقب عصرا، بأكمله،
كان ينهار، ها أنت تكتشف، الآن،
في القاع، بوصلة الحب والموت
ها أنت ذا ترتدي
معطفا واقيا من عوادي الفناء:
إنه النص يأخذ بعدا جديدا
وعذاب الكتابة يصبح، في آخر الأمر،
محض احتراق

من كتاب ((المراثي)). ١٩٩٥

حرائق المتنبي

لما ضربت في الكوفة أعناق الثوار
وتناهبها السفاحون/ ولاة الأمصار
بدأ المتنبي في نظم قصيدته الأولى
بدأت أحجار الهرم الأكبر تنهار
دخل العالم في المابين:
شعوب ولدت فوق ظهور الخيل
وأخرى طلعت من بين شقوق الأرض
وأخرى نهضت من تحت الأنقاض
سقطت فوق عمود الشعر الأمطار
أشعل سيف الدولة آخر قنديل في الدار
هزمت كل منارات الإبداع
نضبت ساعة رمل الأقدار
صمت القيثار
لكن المتنبي نجل السقاء الكوفي
حفيد إمام الفقراء

ظل يواصل إشعال النار
في جثث الموتى وقبور الأحياء

من كتاب ((المراثي)) ١٩٩٥

الشاعر والقصيدة

ستون عاما عمر موتي
هكذا مت من الحياة
ولم أزل أموت
لم يبق سوى
ضياء هذي الشعلة الزرقاء
ووجهي الشاحب في المرآة
وخطوة إلى الأمام وإلى الوراء
ويسقط المصباح
وها أنا أواصل الموت إلى القرار
وكلما خرجت من متاهة دخلت في متاهة
أنزف عند بابها الأخير كالسحابة
محترقا كغابة
تأكل خبز جسدي
وتشرب القصيدة
خمر دمي
أنا أموت
وهي في معراجها

أهكذا أصبحت الكتابة
معادلا للموت والحياة؟
وصار شعري نابضا
بكل ما ضيعته أو ضاع؟
وشاهدا حيا على الحضور والغياب.

من كتاب ((المراثي)) ١٩٩٥

مدارات شرقية

ـ ١ ـ

ملك سلجوقي يخرج من إبريق الخمر
ـ يقول الشاهد ـ
كان سعيدا،
فحبيبته كانت معه
أما شاعره
فلقد آثر أن يبقى في الإبريق
لكن الشاهد ـ
بعد رحيل الملك السلجوقي،
وحيدا للمنفى ـ
أنكر ما قال
فقاضي الملة هدده بالحبس،
فعاد وقال:
بأن الشاعر والإبريق
بيعا في سوق النخاسين بنيسابور

- ٢ -

قيل لتيمور الأعرج:
أنت الفاتح هذي الدنيا، حقا،
لكنك لست تساوي
إلا هذا السيف المسلول
فبكى تيمور وقال لتابعه:
فلنحرق مدنا أخرى
حتى نبلغ سور الصين
فلعل الشعر يموت
أو يصبح شاهد زور في مملكتي،
عبدا مخصيا
في أقفاص الذهب المسروق
لكن التابع أخفى عن تيمور
ما كان يدور
خلف السور.

- ٣ -

قالت : غطاني الحلاج بشيء
وأنا نائمة
قبلني
مسد شعري
أدخل في صلبي وتدا محمياً
أشعل في جسدي نارا
فرأيت فراشات حول النار تحوم
وسقف الحجرة يسقط فوقي
وامرأة أخرى تخرج من جسدي
قلت لها: من أنت؟
فقالت: أنت أنا
والرجل الجاثم فوقي
ليس هو الحلاج
بل هو صورته في المرآة،
وأنا في الحلم أعانقه
ويعانقني
لكن وزير السلطان
قدمني للقاضي شاهدة
ضد الحلاج

- ٤ -

أكره هذا الصوت الناعب
فوق الخابور
وفوق قبور الموتى
لكن الصوت جميل
يتوحد في ماء النهر،
أمير كردي يصطاد غزالا في المنفى
يحشو بالتبغ الغليون
يراقب نجم القطب
وراء الجبل المسحور يغيب
شعب يبحث عن وطن
سنبلة عن شمس
محراث عن أرض
- صار المنفى وطنا،
قال الخابور.

ـ ٥ ـ

أم الدنيا بغداد بناها المنصور
لتصبح عاصمة الألم الخلاق
وفد الشعراء إليها
من بعد المنصور
فباسوا تربتها
سكبوا فوق ضفائرها خمرا
حتى صارت بستانا
ومزارا لطيور البحر
وبدو الصحراء
من كان يحج إليها
ينسى مجنونا بالعشق
حبيبته الأولى
ينسى مفتاح الدار
ويموت شهيدا فيها سكران
خلبت لب معري النعمان
فظل يردد: بغداد !
كانت أحلى امرأة
وستبقى أحلى الحلوات.

- ٦ -

يمتد كسيفٍ آشوري ((حمرين))
في سهب ذهبي
يقطعه ((دجلة)) قرب ((الشرقاط))
طيور من بحر البلطيق تمرُّ مهاجرة
تجنح عند غروب الشمس
تغطي اللهب
تصيح كما في المأساة الإغريقية:
نار- رعيان - نايات
أمطار ربيع تجري في الوديان سيولا
بشر بوجوه من طين ونحاس
ضربوا الأرض بسيف البرق
فصارت خضراء
حاضنة لبذور الخلق وحبلى
بالرعد وبالأمطار
مرت عربات الحرب الآشورية فوق ثراها
مر الأغريق - الإسكندر- هولاكو - الرومان
مرت خيل قبائل من ((نجد))
بدو من بادية الشام
أكراد منفيون
دعاة الأديان
بمباخرهم ضاوين

ومرَّ الشيطان
قالت كتب السحر
وقالت ألواح الطين:
طلْسمُ حمرين
يتبادله البشر الفانون.

من كتاب ((المراثي)) ١٩٩٥

قراءة في ملحمة جلجامش

قمر من معدن
بمرايا (ذات) عيون عبر مدارات الأرض
وفي الكون الأحدب
يتجسس/
يرصد
يسمع
يهتك سرَّ ينابيع الشمس
ودقات قلوب البشر الفانين
وضوء النجم الأبعد
علماء بوجوه قرود في جوف الأرض
وفي المخبأ
يرصدهم جنرال بمرايا (ذات) عيون
يضغط زرا
تهتز الأسلاك
وترسل في الليل عويلا
كعويل عرائس بحر الكاريبي
يسقط نيزك

أبراج المدن الكبرى
يغمرها الطوفان
فتغرق
آخر طير كان يهاجر
يسقط في البحر الأسود
إنسان يحمل ألواح الطين
ويهوي محترقا
في برج العقرب
صاحبة الحانة كانت
تبكي
أحديقةُ "سافو" هذي أم معبد عشتار
تُحرقُ فيه الاجسادْ
في أيِّ الأزمانْ؟
لايدري أحدٌ في أي الأزمان
نحن الآنْ؟
"جلجامش" هذا اليصرعُ ثورَ الغابةِ
ام جنرال يغتال "الانسان"؟
أزمانٌ تتداخلُ
تُصبحُ فيها "سافو" "عشتارْ"
والجنةُ ناراً
والشيطان ملاك
صاحبة الحانةِ كانت
تبكي
لكنَّ الجنرال

كان يضاجعها في الحانْ
يضغط زراً
تهتزُّ الأسلاكُ
وتُرسلُ في الليل عويلاً
تهوي ابراج المدن الكبرى
يغمرها الطوفانْ

من كتاب ((المراثي)) ١٩٩٥

شهوة الحياة

متُّ من الحياة
لكنني
مازلت طفلا جائعا
يبكي.
كدودة تقرضُ تفاحةً
كان هو الموت
وكالسيركِ.
مهرج يسرقنا خلسة
ونحن في دوامة الضحكِ.
طفولتي في يده دمية
حَطمَها في ثورة الشكِ.
رأيته في عرصات البلى
يعيد في هبائها سبكي.
دمي على قناعه وهو لا
يضحك في السيرك
ولا يبكي.
قلت لأمي الأرض

لا تجزعي
فهو الذي حدثني عنك.
أورثني الفقر
وها إنني
أرزح تحت تاجه الشوكي.
إن حكت الحياة عن بؤسها
فما الذي
عن بؤسنا نحكي؟
نذبل في ليل المنافي ولا
نشبع / في عناقنا / منك

من ديوان "البحر بعيد أسمعه يتنهدّ" ١٩٩٨



الفهرس









كتاب المختارات

هذه المختـارات، تمثل لي، قراءة «بريئة» ومتحرّرة من وطأة الموضوع المحدّد، لتدخل في محاولةٍ استقصاء المشروع الشعري العام للبياتي، ترصد تحوّلاتِهِ، واقتراحاته، وأثَرَهُ في المتن الشعري العربي الذي يمثّلُ البياتي فيه، برأيي، التحول المتوازن والطبيعي في حركة الحداثة الشعرية العربية.

وعلى المستوى الشخصي، تمثّلُ لي هذه المختارات من أشعار البياتي، إعادةَ مراجعة لمشروع الريادة، ومفهوم الحداثة في الشعر العربي. فأشعار البياتي المتجذِّرة في تُرابية الحياة العربية والشرقية عموماً، بأساطيراها ورموزها، بحروبها ومآسيها، بمنافيها وطوفاناتها، بطغاتها وفقرائها، استطاعت أن تحقق في الوقت نفسه ميتافيزيقيا عالية، وذلك في عمق ارتباطها باللحظة وكأنها «الأبد».

محمد مظلوم



كتاب المختارات

هذه المختـارات، تمثل لي، قراءة «بريئة» ومتحرّرة من وطأة الموضوع المحدّد، لتدخل في محاولةٍ استقصاء المشروع الشعري العام للبياتي، ترصد تحوّلاتهِ، واقتراحاته، وأثرَهُ في المتن الشعري العربي الذي يمثّلُ البياتي فيه، برأيي، التحول المتوازن والطبيعي في حركة الحداثة الشعرية العربية.

وعلى المستوى الشخصي، تمثّلُ لي هذه المختارات من أشعار البياتي، إعادةَ مراجعة لمشروع الريادة، ومفهوم الحداثة في الشعر العربي. فأشعار البياتي المتجذّرة في تُرابية الحياة العربية والشرقية عموماً، بأساطيراها ورموزها، بحروبها ومآسيها، بمنافيها وطوفاناتها، بطغاتها وفقرائها، استطاعت أن تحقق في الوقت نفسه ميتافيزيقيا عالية، وذلك في عمق ارتباطها باللحظة وكأنها «الأبد».

محمد مظلوم